الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية – أدرار –

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية **قسم:** العلوم الانسانية

الرقم التسلسلي: ..... **الرمز:** .....

السياسة الاستعمارية الايطالية وانعكاساتها على ليبيا (1911-1942)

مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في التاريخ

التخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبة: راشة بن عودة أسماء

إشراف الأستاذ: أ. ختير الصافي

السنة الدراسية :1438-1493هـ/2017-2018 م.

الدورة: ماي 2018

الإهـــــداء

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي إلى من كانت دوما منبرا للأمل، ومفتاحا للصبر والتفاؤل إلى أميرة الأمهات

" أمي الغالية "

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل أسمه بكل افتخار

" أبي العزيز "

إلى منبع فخري واعتزازي إلى من كلماته بهجة لوجداني إلى من دعمني بدعواته ونصائحه إلى من كان معي في الحزن والفرح

" زوجي علي "

إلى كنوز الحياة إلى من أعانوني في صعوباتي، إلى الذين قاسمت معهم طفولتي ، إخوتي

" خديجة ، أمين، فاطمة، مروان وشيماء "

إلى نور حياتي وسر بسمتي إبنتي الغالية

"ندى"

شكر وتقدير

لله عز وجل الشكر والحمد والثناء العظيم على عونه وتوفيقه لي لإنجاز هذا العمل

لابد في هذا المقام أن نذكر لأهل الفضل فضلهم

كل الشكر والامتنان لأستاذي الفاضل"خثير الصافي"الذي أشرف على هذه المذكرة

وكان له الفضل في تقديم التوجيهات القيمة،فله مني أسمى عبارات التقدير

والاحترام.

كما أتوجه بشكري للأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة لقبولهم مناقشة

هذه المذكرة المتواضعة.

كما لا أنسى في هذا المقام توجيه خالص الشكر إلى كل أساتذة التاريخ الذين كانوا خير عون

وسند لنا في المسيرة الدراسية.

مع نهاية القرن التاسع عشر شهدت دول المغرب العربي منافسة استعمارية شديدة، وقد كانت ايطاليا آخر الدول الأوروبية التي دخلت بقوة حلبة الاستعمار رغبة منها في إعادة أمجاد روما،وذلك بتوسيع وجودها عن طريق حصولها على مناطق نفوذ بمنطقة الشمال الإفريقي،ولم يتبقى في نصيبها سوى ليبيا آخر الولايات العثمانية فاعتبرتها شاطئها الرابع لتكون مستعمرة مهمة نظرا لموقعها الإستراتيجي،متخذة منها مختبرا لنظرياتها في الاحتلال،حيث شرعت في خطتها عن طريق امتيازات تجسدت في فتحها للمدارس وفروع بنك روما ووضعها لمراكز النشاط السياسي.

ثم شرعت معتمدة سياسة جديدة وذلك بالضغط على الدولة العثمانية وإجبارها على التفاوض معها والانسحاب من ليبيا، وقد كان لها ذلك مع توقيعها معاهدة "أوشي لوزان" سنة 1912 والتي تخلت بموجبها الدولة العثمانية على ليبيا.

غير أن الاحتلال الايطالي وجد ردود فعل شعبية ودعما قويا من الشعب الليبي للجهاد منضمين لأعظم مقاومتين تمثلتا في مقاومة الأمير "إدريس السنوسي" و"عمر المختار" وهو ما ساعد في نهاية المطاف من تقريرهم لمصيرهم و نيلهم لحريتهم.

وتأتي أهمية دراسة هذا الموضوع لتوضيح مدى العنف والبطش الذي تعرض له الشعب الليبي خلال فترة جهاده والذي تجسد في النفي والتعذيب والاعتقال لإجباره على الاستسلام إضافة إلى تبيان مدى صمود المقاومة أمام عدو غاشم لأكثر من ثلاثون عاما وبأقل الإمكانيات.

أسباب اختيار الموضوع : يعود اختياري لهذا الموضوع للاعتبارات التالية:

* الرغبة الذاتية في دراسة تاريخ ليبيا المعاصر عامة والمقاومة خاصة – مقاومة عمر المختار –.

* أهمية موضوع الدراسة الذي جمع بين القوة والحكمة بالرغم من قلة العدة والعتاد إلى غاية نيل الاستقلال.

* إدراج كفاح الشعب الليبي كنموذج عن كفاح الشعوب المستضعفة ضد المستعمر الأوروبي المستبد.

* طول فترة مقاومة الشعب الليبي الذي يعكس الصمود الكبير لنيل الاستقلال.

* ليبيا جزء من شمال أفريقيا الذي كان محل تنافس كبير بين مختلف الدول الأوروبية.

طرح إشكالية الموضوع:

تتمثل إشكالية البحث في الهجمة الاستعمارية الشرسة الأوروبية عامة، والايطالية خاصة وهذا دليل على المركز المحوري في حوض البحر المتوسط للمنطقة وهو ما جعلها عرضة للتنافس، لتبرز المقاومة كعامل أساسي في ليبيا متخذة العديد من الأساليب للجهاد ومقاومة العدوان الصليبي.

وقد اخترت لهذا البحث عنوانا موسوما ب: "السياسة الاستعمارية الإيطالية وانعكاساتها على ليبيا (1911-1942)" ومن هنا نطرح الإشكال التالي:

* ماهي إستراتيجية الاحتلال الايطالي في ليبيا؟ وما مدى انعكاساتها على الشعب الليبي؟

وتتفرع تحت إشكالية الموضوع عدة تساؤلات:

* فيما تمثلت ردود فعل الشعب الليبي على الاحتلال الايطالي؟

* فيما تجسدت المقاومة الليبية؟ وكيف كانت مظاهرها؟

* ما هي أهم النتائج التي أفرزتها السياسة الاستعمارية الإيطالية؟كانت وكيف كانت تأثيراتها على ليبيا؟

عرض الموضوع: وللإجابة على هذه التساؤلات قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

جاء الفصل الأول بعنوان "سياسة المفاوضات الايطالية " وهي السياسة التي انتهجتها إيطاليا كلما تعرض وجودها للخطر وقسمته إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول: تأثير الأوضاع الدولية على السياسة الايطالية في ليبيا (1914-1919) تطرقت فيه إلى تولي "أحمد الشريف" للمقاومة الليبية إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى وتراجع الاحتلال الايطالي إثر ذلك، ثم انطلاقها في جملة المفاوضات بدءا بالمفاوضات في المنطقة الغربية كأرضية لبداية المفاوضات، وتناول المبحث الثاني: بداية المفاوضات مع الزعماء بدءا بالأمير "إدريس السنوسي" وأهم الاتفاقيات التي كانت بين الطرفين، أما المبحث الثالث: جاء موضحا للمفاوضات مع زعيم المقاومة "عمر المختار" والإستراتيجية المتبعة في مواصلته الكفاح ضد إيطاليا إلى غاية أسره.

أما الفصل الثاني: فعنوانه "سياسة ايطاليا مابين الحربين العالميتين في ليبيا"،حيث سلطت الضوء فيه على أهم السياسات التي اتبعتها ايطاليا للقضاء على حركة "عمر المختار"، فقد تناول المبحث الأول: سياسة الحصار في الجبل الأخضر، وحشر سكان برقة في المعتقلات الجماعية واحتلالها للكفرة في الجنوب الليبي، ومدى تأثير هذه

الإجراءات على "عمر المختار" والتي كانت سببا في وقوعه في الأسر، أما المبحث الثاني: تطرقت فيه إلى سياسة النفي إلى السجون الايطالية.

وأخيرا تطرقنا في الفصل الثالث إلى "انعكاسات السياسة الايطالية على المجتمع الليبي"، وقسمته إلى مبحثين تناولت في المبحث الأول: النتائج الاجتماعية والاقتصادية للسياسة الايطالية، وفي المبحث الثاني: تحدثت عن النتائج السياسة والعسكرية لإستراتيجية السياسية الايطالية.

وكانت نهاية البحث خاتمة حاولت من خلالها الوقوف على أهمية النتائج التي استخلصتها لهذه الدراسة.

منهج البحث:

بما أن الموضوع تاريخي والذي يتناول السياسة الايطالية تجاه المقاومة الليبية فقد أتبعنا المنهج التاريخي والتحليلي في بعض الأحيان والذي يعتمد على جمع الحقائق التاريخية ثم تحليلها بما يتماشي مع الموضوع المطروق.

أهداف الدراسة:

* الكشف عن سياسة الاضطهاد الاستعماري للشعب الليبي.

* إبراز الشخصيات التي جابهت هذا الطغيان الايطالي.

* دراسة دور مقاومة "عمر المختار" في مقاومة الاحتلال الايطالي لليبيا.

مصادر ومراجع الموضوع:اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على جملة من المصادر والمراجع الهامة والتي ساعدتني في الإلمام بجوانب البحث من أهمها:

كتاب "الحركة السنوسية دين ودولة" لمحمد فؤاد شكري والذي تناول فيه تاريخ ليبيا وألم فيه جميع الجوانب من سياسة المفاوضات ومقاومة "عمر المختار" إلى غاية الكفاح السياسي لليبيين، إلى جانب "قضية ليبيا" لمحمود الشنيطي وكتاب "عمر المختار" للطيب بن إدريس الأشهب الذي تناول حياة عمر المختار وكتاب معجم معارك الجهاد ل"محمد التليسي" الذي تناول فيه ترجمة عن كافة معارك الجهاد الليبية.

أما بالنسبة للمراجع فعلى كثرتها أخص بالذكر: كتاب "الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا" لمحمد علي الصلابي الذي ألم بكافة الأحداث إلى جانب كتاب "تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة" لرأفت غنيمي

الشيخ الذي ساعدني كثيرا في انعكاسات السياسة الايطالية على ليبيا ثقافيا وخاصة في الجانب التعليمي وتأثر الليبيين بالثقافة الايطالية.

3- المذكرات:

كان لها دور في خدمة الموضوع ولو بالشكل البسيط أخص بالذكر: "البعد الجهادي المغاربي للحركة السنوسية" لسعود دحدي التي اعتمدت عليها في الإلمام بمراحل مقاومة عمر المختار.

صعوبات البحث: لايخلو أي بحث أكاديمي من العراقيل،ومن بين أهم الصعوبات التي واجهتني:

* تقارب المعلومات في المراجع وتناقضها في بعض الأحيان لطرحها.

* شبه انعدام للمراجع المتخصصة التي تتحدث عن الموضوع المطروق خاصة ما تعلق بسياسة النفي والتهجير المتبعة من الاحتلال الايطالي كون هذا الجزء سري وندرة الوثائق المتعلقة به.

* صعوبة سرد الأحداث كلها لكثرتها.

الفصل الأول

سياسة المفاوضات الايطالية

المبحث الأول: تأثير الأوضاع الدولية على السياسة الإيطالية في ليبيا(1914-1919)

المبحث الثاني: التفاوض مع الأمير إدريس السنوسي (1916-1922)

المبحث الثالث: المفاوضات مع "عمر المختار"(1923-1931)

لقد اختلفت السياسة الإيطالية باختلاف الأوضاع الدولية فتارة تهاجم المقاومة هجوما عنيفا وشرسا، وتارة أخرى تدخل معهم في تفاوض لكسب الوقت وذلك حسب الظروف العسكرية،وسنوضح كيف أن ظروف الحرب العالمية الأولى قد قادت الحكومة الإيطالية للتفاوض مع الزعماء الليبيين أمثال الأمير "إدريس السنوسي"في محاولة منها لإيقاف حركة الجهاد ضدها حتى تتفرغ للقتال في الجبهات الأخرى وقد نجحت في شق صفوفهم.

المبحث الأول: تأثير الأوضاع الدولية على السياسة الإيطالية في ليبيا (1914–1919م)

1– جهاد الليبيين والعثمانيين ضد إيطاليا:

تميزت الفترة التي سبقت معاهدة لوزان بين الدولة العثمانية وإيطاليا بشمولية المقاومة والتي غلبت عليها وحدة الصف بين المجاهدين إضافة إلى استمرار التواجد العثماني في ليبيا[1]، وتوليه لأمور توفير المعدات العسكرية والمؤن التي كانت تأتي من الأستانة باعتبارها حامية الولاية،إلى جانب تولي أبرز الضباط العثمانيين أمثال "أنور باشا"[2] أمور قيادة المعارك وتنظيم صفوف المتطوعين من الليبيين إضافة إلى إعداد الخطط العسكرية والإشراف على التدريب، وقد ساهم العامل الديني في توحيد الجهود بين العرب والعثمانيين في هذه الفترة كماكانت من المهام الرئيسية للدولة الدفاع عن برقة وطرابلس باعتبارهما كانتا تابعتين للدولة العثمانية من الناحية السياسية ضد أي غزو، وما زاد في إعطاء الدفع القوي للمقاومة هو تواجد القوات العثمانية في ليبيا وهو ما نتج وساعد في محاصرة القوات الإيطالية في المدن الساحلية التي احتلوها واستمر وضعهم على حاله طيلة عام كامل.

لكن مع توقيع معاهدة أوشي لوزان في 18 أكتوبر1912م[3] بين الدولة العثمانية وإيطاليا حدثت تغيرات جوهرية في أوضاع الجبهة الداخلية لحركة الجهاد في ليبيا خاصة في الجبهة الغربية من البلاد، حيث انتهى وتلاشى التعاون بين المجاهدين والدولة العثمانية باستثناء بعض الضباط العثمانيين الذين رفضوا الاعتراف بهذه المعاهدة وعلى رأسهم "أنور باشا" الذي تولى قيادة المجاهدين مع "أحمد الشريف" في برقة منذ سنة 1913م، وقد بررت وزارة الحربية العثمانية ببقاء هؤلاء الضباط في برقة بأن المجاهدين الليبيين بقيادة "أحمد الشريف" منعوهم من مغادرة

1– مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص 25.

2– نيقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1958م، ص 82.

3– نفسه ص83.

البلاد والواقع أن حجمها أو بالأصح مناوراتها السياسية ربما لكونها فقدت السيطرة على هؤلاء الضباط أو لكونها لا تعارض بقاءهم في ليبيا.

بدأ الإيطاليون بجملة من العمليات العسكرية للقضاء على المقاومة في وقت قصير وكان تخطيطهم لذلك لاستغلال الوقت وذلك في جنوب وشرق منطقة بنغازي[1] في وقت واحد، ففي 11 أفريل 1913م نزلت قوات إيطالية في "طلميثة" إحدى مرافئ الجبل الأخضر واتخذتها قاعدة للانطلاق نحو احتلال مناطق الجبل الأخضر، وفي نفس الوقت في 13 أفريل 1913م زحفت القوات الإيطالية المتواجدة في بنغازي نحو الجنوب للقضاء على معسكرات المجاهدين في منطقة "بنينا" الشهيرة حيث وقعت معركة بنينا والتي انتصرت فيها القوات الإيطالية بعد أن تكبدت خسائر فادحة[2]، ومن ثم واصلت هذه القوات زحفها نحو مناطق "الرجمة" و"أبو مريم" حتى استولت على مدينة "الأبيار"[3] في 1913/04/25م. بعد ذلك التقت مع القوات التي نزلت في "طلميثة "وزحفت القوتان لاحتلال مدينة المرج في 1913/04/19م، ثم انطلقت نحو "جردس العبيد "و"تاكنس" وباقي مناطق الجبل الأخضر إلى مدينة درنة وقد اصطدمت هذه القوات مع المجاهدين في عدة معارك كانت من أبرزها معركة سيدي كريم القرباع في 16 مايو 1913م وذلك بعد تراجع المجاهدين إلى جنوب مدينة درنة، كما شكلوا معسكرا تحت قيادة بعض الضباط الأتراك بعد تراجعهم واشتبكوا مع القوات الإيطالية المكونة من حوالي خمسة آلاف مقاتل وثلاث بطاريات مدفعية ميدان،وانتهت بهزيمة القوات الإيطالية وقتل ما يقارب من سبعين ضابطا وجنديا وأسر حوالي أربعمائة واستولى المجاهدون على الأسلحة والذخائر[4].

2-المقاومة الليبية بزعامة "أحمد الشريف السنوسي":

نرى أن معركة سيدي كريم القرباع التي عرفت في بعض المصادر العربية بمعركة "يوم الجمعة" من المعارك الحاسمة وقد ساهمت في توقف الزحف الكاسح للجنرال "تاسوني Tasoni"، وهي البداية الفعلية لتولي "أحمد الشريف" قيادة المجاهدين في برقة، فقد وصل "أحمد الشريف"من الجغبوب إلى ساحة القتال، وبدأ دور الضباط

1- خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا (1911-1931م)، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1983م، ص 40.

2- نفسه، ص 41.

3- هذه المناطق تقع جنوب مدينة بنغازي، حرص الإيطاليون على احتلالها منذ الفترة الأولى للغزو، لكي يتخذوا منها قاعدة لعملياتهم العسكرية نحو الجبل الأخضر لحماية مواقعهم العسكرية في المناطق الساحلية. أنظر: التليسي، نفس المرجع، ص 104.

4- نيكولاي ايليش بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى سنة 1969م، ت: عماد حاتم، تاريخ جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م، ص 67.

الأتراك في التلاشي تدريجيا، وذلك بعد أن اجتمع "أنور باشا" به في الجغبوب قبل سفره واتفق معه على عدة نقاط لتسيير القتال وتم تسليم أمور القيادة ثم غادر تركيا عبر مصر[1].

نتيجة لهذه التغيرات تم اعتماد أساليب جديدة للعمليات العسكرية ضد القوات الإيطالية، فبعد أن كانت المعارك تقليدية واعتمادها لطريقة الجيوش النظامية المدربة من طرف الضباط الأتراك، أصبحت بعد ذلك تخوض حرب الكمائن والغارات الخاطفة التي أربكت قوات العدو، كما قام الإيطاليون بتغيير سياستهم منتهجين سياسة جديدة حربية، فبدلا من الفيالق العسكرية المكثفة صاروا يستخدمون فرقا قليلة العدد يدخل في تكوينها بعض الأهالي المنحازين إلى جانب القوات الإيطالية،وكان عمل الفرق مباغتة المجاهدين وتعقبهم والبطش بالقبائل الغير خاضعة للإيطاليين وكذلك تحريض القوافل.

وبالرغم من توحيد القبائل وتكوين جبهة قوية للتصدي للزحف الإيطالي نحو دواخل البلاد من طرف "أحمد الشريف السنوسي" بعد توليه القيادة العامة للمجاهدين، إلا أن الوضع لم يدم طويلا فقد قامت الحرب العالمية الأولى وانضمت الدولة العثمانية –صاحبة السيادة على ليبيا– إلى جانب ألمانيا والنمسا ووقع اختيار الدولة العثمانية على "أحمد الشريف" بعد بحثها عن شخصية قوية ذات مكانة ونفوذ في ليبيا[2] لتحرضها ضد الانجليز في مصر، وقد قامت السلطات العثمانية بإرسال مبعوث إلى ليبيا لحمل رسالة إلى "أحمد الشريف"ومضمونها تمثل في أن يعلن "أحمد الشريف"[3] الجهاد ضد الحلفاء وأن يهاجم الحدود المصرية ووعدته السلطات العثمانية بتقديم المال والمؤن والذخائر كما سيتم تعيينه نائبا للسلطان "محمد رشاد الخامس" في شمال إفريقيا بلقب الوزير الأول ويمنح حق منح المناصب وإعطاء الرتب[4]، وكان من مهام "نوري بك" أيضا تنظيم الهجوم على مصر من برقة، وفي هذه الأثناء كانت القوات الإيطالية تتعرض لمقاومة عنيفة من المجاهدين سواء في المنطقة الشرقية أو الغربية من البلاد، واضطرت هذه القوات إلى الانسحاب من أغلب مواقعها المتقدمة إلى المناطق الساحلية[5].

1– محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، مركز الدراسات الليبية، اكسفورد، 2008م، ص ص141–143.

2– جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير، ج4، بيروت، 1981م، ص 21.

3– أحمد الشريف: هو الإمام الثالث للحركة السنوسية، ولد بواحة الجغبوب سنة 1290هـ/1873م، في عهده ابتليت ليبيا بالاحتلال الإيطالي فاستطاع أن يرفع لواء المقاومة وينزل بالهزائم المتلاحقة بالإيطاليين، توفي سنة 1902م. أنظر: محمد الهادي الحسني، الإمام المجاهد أحمد الشريف السنوسي،جريدة الشروق اليومية،العدد2391،الجزائر،ص28،2008/08/24.

4– مصطفى علي هويدي، المرجع السابق، ص 50.

5– إ. ن. بروشين، المرجع السابق، ص 147.

وهكذا وقع "أحمد الشريف" في وضع معقد، فقد كانت تربطه علاقة حسنة مع الإنجليز في مصر لكون أن الحكومة الانجليزية قد غضت الطرف عن المساعدات التي كانت تخرج من مصر إلى ليبيا وكذا كانت مصر الباب الوحيد المفتوح الذي تأتي منه المؤن والتي بفضلها يستطيع مواصلة القتال ضد إيطاليا وهذا سبب تردده في سرعة إختيار قراره بالإنضمام إلى الدولة العثمانية أو الوقوف على الحياد، وقد كان هناك اتجاهان في الداخل زادا من تردده، فقد كان "إدريس السنوسي" وعدد من الضباط الطرابلسيين الموجودين في جبهة "أحمد الشريف" يفضلون الوقوف على الحياد وعدم التعاون مع الأتراك، وفي المقابل مارست جماعة أخرى ضغطا عليه لإعلان الجهاد ضد بريطانيا وقد تمثلت هذه الجماعة في الليبيين العائدين من الأستانة أمثال: سليمان الباروني، يوسف بن شتوان وغيرهم، وقد رأوا في هذه الحرب فرصة لتحرير بلادهم من المحتل الإيطالي، إلا أن تردد أحمد الشريف كان منطقيا لكون أن السلطات العثمانية كانت تقدم الوعود فقط وأن العثمانيين أرادوا إقحامه في حرب مع الانجليز لم يكن يمتلك السلاح لها[1].

إلا أنه ومع إصرار الألمان والعثمانيون على اتخاذ برقة ميدانا يرسلون منه جيشا لغزو مصر من الجبهة الغربية لأنهم في الوقت نفسه كانوا يعدون حملة أخرى من الشام لغزو مصر من جهة قناة السويس وذلك لهدف تشتيت القوات الانجليزية، وتزامن ذلك مع قيام الدولة العثمانية بحملة دعاية واسعة في مصر للتحريض على الثورة ضد الانجليز، فقد تحقق لهم ما كانوا يصبون إليه وذلك بقيام بعض الضباط الأتراك بإصدار أوامر باسم "أحمد الشريف" بإعلان الحرب على الانجليز[2] وداهموا القوات البريطانية في ميناء السلوم في نوفمبر 1915م، وبهذا أصبح "أحمد الشريف"هدفا لهجوم مضاد من قبل القوات الانجليزية، وعلى الرغم من إرسال وفد لأحمد الشريف من طرف انجلترا لإقناعه بمساعدتهم له في الحصول على استقلال بلاده وانتدابه هو الآخر للعراقي "جعفر العسكري" لتهدئة الأوضاع، إلا أن كل المساعي باءت بالفشل وقد أعلنت بذلك حرب رسمية بين الطرفين، وكانت أعداد القوات الانجليزية تقدر بحوالي ثلاثين إلى خمسة وثلاثين ألف جندي وقوة المجاهدين ما بين خمسة إلى تسعة آلاف جندي، كما ساهمت وتطوعت أعداد كبيرة من المصريين للانضمام إلى قوات "أحمد الشريف" وكان على رأسهم الضابط "محمد صالح حرب"[3]، وبدأ الهجوم على القوات الانجليزية كما هاجمت السفن والغواصات الألمانية القوات

1- محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها، المجلد 2، ج1، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م، ص 253.

2- محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م، ص 58.

3- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 261.

الانجليزية التي كانت راسية قرب الحدود الغربية لمصر[1]، إلا أنه وبعد عدة معارك تمكن الانجليز من هزيمة قوات "أحمد الشريف" وأسر الضابط "جعفر العسكري"، ورغم فشل حملة "أحمد الشريف "إلا أنها نجحت في تحقيق بعض أهداف ومبتغيات ألمانيا وتركيا الإستراتيجية بحيث خف الضغط على القوات التركية المحاربة في منطقة قناة السويس بعد أن تم إشغال القوات الانجليزية أكبر قدر ممكن في غرب وادي النيل، وفي المقابل فقد كان لهزيمة "أحمد الشريف"أثر سيء على ساحة القتال في ليبيا فقد توقفت حركة الجهاد لعدة سنوات واضطرت قيادة المجاهدين الجديدة بقيادة "إدريس السنوسي" إلى الدخول في هدنة والاعتراف بشكل أو بآخر بالوجود السياسي الإيطالي، كما أشرف الأمير "إدريس" على التوقيع على عدة معاهدات مع الحكومة الإيطالية والانجليزية في الزويتينة والرجمة.

إلا أن الوضع في الجزء الغربي من ليبيا فقد اختلف عما كان عليه في برقة فقد بدأت الخلافات في البلاد عقب خروج القوات العثمانية من ليبيا بعد التوقيع على معاهدة أوشي أوزان 1912م وحاولت كل قبيلة العمل بصورة منفردة رغم توصل زعماء المنطقة إلى عقد اجتماع طارئ في مدينة العزيزية[2] في نوفمبر 1912م لإيجاد حل فيما يمكن عمله بعد خروج القوات العثمانية من مسرح القتال وقد حضر هذا المؤتمر عدد من القادة من الجانب الليبي، كما حضره قائد القوات العثمانية في طرابلس "نشأت بك"[3]، إلا أن حضوره تعلق بأمور تسليم القيادة لليبيين وكذلك عملية سحب الجنود والمواطنين العثمانيين من البلاد، إلا أن هذا المؤتمر لم يسفر عن أي قرار قوي لصالح الليبيين، إذ سرعان ما نشب الخلاف بين أعضائه وانقسموا حول مسألة استمرار المقاومة ضد إيطاليا من عدمها، وبرز فريقان الأول فضل التوقف عن المقاومة المسلحة والدخول في مفاوضات مع العدو للحصول على الاستقلال الذاتي وأغلب أنصار هذا الفريق كانوا من المناطق الساحلية، مثل: الزاوية ومصراتة وغيرها، وكان على رأس هذا الفريق "الهادي كعبار" و"مختار كعبار" و"فرحات الزاوي"[4]. أما زعماء الفريق الثاني فقد كانوا يمثلون بعض المناطق الداخلية وفضلوا الاستمرار في المقاومة المسلحة ورفضوا التفاوض مع العدو إلا إذا اعترفت إيطاليا

1- عبد الرزاق مناع، جذور النضال العربي في ليبيا، ط2، بنغازي، 1972م، ص 66.

2- العزيزية تقع على بعد حوالي 40 كم جنوب مدينة طرابلس، كانت مركزا هاما من مراكز الحركة الوطنية الأولى. انظر: خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، المرجع السابق، ص 358.

3- الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط4، دار الفتح للنشر، بيروت، 1970م، ص 161.

4- نفسه، ص ص 161-162.

باستقلال البلاد، وكان من أبرز هؤلاء الزعماء "سليمان الباروني" و"محمد عبد الله البوسفي" وأيدهم في ذلك القائد "نشأت بك"[1].

بعد ذلك اتجه "سليمان الباروني" إلى جبل نفوسه وجمع حوله الآلاف من المقاتلين، وخاطب إيطاليا بأن تعترف به رئيسا لدولة إسلامية عاصمتها يفرن، وبدأ في تشكيل جهاز إداري لدولته، كما شكل جيشا من الخيالة والمشاة، وأقام محطات التلغراف والبريد، إلا أن الأمور المادية أعاقت جميع مخططاته[2]، ومن أجل توفير المال اللازم لتمويل حركة المقاومة عمل على فرض الضرائب على سكان المناطق التابعة له وحثهم على التبرع ودفع الصدقات[3]، وهو ما جعل هذه المناطق عرضة للهجمات من طرف القوات الإيطالية.

فخلال الفترة الممتدة من نوفمبر 1912م إلى مارس 1913م تمكنت القوات الإيطالية من إحتلال المناطق الساحلية[4]، كما قامت باحتلال المناطق الجبلية أيضا بعد معركة جندوبة جنوب مدينة غريان في 23 مارس 1913م، والتي هزمت فيها قوات "سليمان الباروني" ولاحقته القوات الإيطالية إلى أن دخل ببقايا جيشه إلى الأراضي التونسية ثم غادرها بعد ذلك إلى الأستانة، وبعد هزيمة "سليمان الباروني" تمكن الإيطاليون من ضرب باقي مراكز المقاومة في المنطقة الغربية من ليبيا.

3- انعكاسات الحرب العالمية الأولى على الاحتلال الايطالي في ليبيا:

ومع قيام الحرب العالمية الأولى والتي كانت فيها إيطاليا والدولة العثمانية طرفين متعاديين قررت الدولة العثمانية استغلال المقاومة في المنطقة الغربية من ليبيا، كما سبق وأن فعلت نفس الشيء في برقة، فقد عاد "عبد الله البوسفي" إلى فزان واستأنف الجهاد ضد إيطاليا وكتب عدة رسائل لبعض الزعماء الذين هادنوا إيطاليا يحثهم على مواصلة القتال، ومن بين هؤلاء "سيف النصر"[5] الذي أكد على استعداده لتقديم المساعدة للمجاهدين رغم وقوفه على الحياد، واستغلت الدولة العثمانية ذلك وأرسلت "سليمان الباروني" إلى ليبيا لقيادة الثورة ووصل إلى مصراتة في أفريل 1916م يحمل فرمانا سلطانيا بتعيينه حاكما على طرابلس وقائد قوات المجاهدين[6]، كما أصدر السلطان العثماني مرسوما يقضي بإلحاق طرابلس بالدولة العثمانية. وقد وقعت عدة معارك قوية ضد القوات

1- الطاهر الزاوي،المرجع السابق. ص 166.
2- بروشين، المرجع السابق، ص 133.
3- الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص 168.
4- خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، المرجع السابق، ص 109.
5- بروشين، المرجع السابق، ص 162.
6- الطاهر الزاوي، مرجع سابق، ص 195.

الإيطالية أشهرها معركة القرضابية[1] (قصر أبو الهادي) في منطقة خليج سرت في المنطقة الوسطى في 28 أبريل 1915م بحيث أنه منذ أمد بعيد كان الإيطاليون ينوون أن يدمروا معسكر المجاهدين في "عين النوفلية" وهو مكان اجتماع المجاهدين من منطقة طرابلس وبرقة، وقد اكتسبت هذه المعركة شهرتها من كونها أكبر انتصار لحركة التحرر الوطنية للشعب الليبي[2]، فقد تأكدت في ذلك المكان الفكرة التي تجزم بأن قوة الليبيين تكمن في وحدتهم، إذ شارك في المعركة مقاتلون من برقة، طرابلس، وفزان، وفيها تلاءمت جهود "صفي الدين السنوسي" ممثل برقة، والقائد الطرابلسي "رمضان السويحلي"، وقد هزمت في هذه المعركة القوات الإيطالية هزيمة شنيعة وترتب عليها انسحاب القوات الإيطالية من عدة مناطق كانت قد احتلتها دون أن تقوم حتى بمحاولة حمايتها وأصبحت تحتفظ فقط بالمناطق الساحلية.

وفي 05 يونيو1915 بدأ الإيطاليون انسحابا جماعيا من منطقة طرابلس، وصار المجاهدون يسددون ضربات أشد فتكا[3]، وهو ما عرف أ في غرب ليبيا بحرب التطهير، تلك الثورة التي اشتعلت ضد الإيطاليين بصورة جماعية وشمولية في كل طرابلس وتكبد الإيطاليون خسائر كبرى بين قتيل وجريح وأسير، وغنم المجاهدون كميات كبيرة من الأسلحة والبنادق والذخائر والألبسة، حتى أن الزعماء الموالون لإيطاليا بدأوا في التخلي عنها وكان من أولهم "رمضان السويحلي" الذي تخلى عن القوات الإيطالية في معركة القرضابية.

4- انطلاق المفاوضات في المنطقة الغربية:

وأمام هذه الظروف رأى الأتراك إمكانية الاستفادة من هذه الأوضاع لصالحهم في الحرب فسارعوا إلى الاتصال بالزعماء الطرابلسيين وقاموا بتعيين "سليمان الباروني" واليا على طرابلس وأرسلوا معه بعض الأسلحة[4]، كما أرسلت تركيا في فترة لاحقة العديد من القادة كل حسب مهامه، فمثلا: "الأمير عثمان فؤاد" عهدت إليه بالقيادة العليا وجاء معه "إسحاق باشا" حاكما عسكريا[5] وغيرهم، ونتيجة تحويل إيطاليا لجهودها إلى الجبهة الأوروبية ساد شيء من الهدوء جبهة قتالها في طرابلس، إلا أنه بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى قامت بسحب قواتها من ليبيا إلى جانب إيقافها جميع الإمدادات التي كانت ترسلها إلى ليبيا.

1- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 109.

2- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، القاهرة، 1977م، ص 380.

3- بروشين، مرجع سابق، ص 164.

4- مصطفى هويدي، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي (1911-1942م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998م، ص 211.

5- محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 74.

تحت هذه الظروف لم تكن هناك قيادة موحدة للمجاهدين في طرابلس فاجتمع أبرز زعماء المنطقة الغربية في 16 نوفمبر 1918م في مدينة مسلاتة، وتم تشكيل حكومة لإدارة شؤون البلاد عرفت باسم "الجمهورية الطرابلسية"، وشكل مجلس لإدارتها يتكون من أربعة أعضاء وهم:

1- سليمان الباروني.

2- رمضان السويحلي.

3- أحمد المريض.

4- عبد النبي بالخير.

وأرسلت حكومة الجمهورية عدة بلاغات للدول بإعلان الجمهورية في 16 نوفمبر 1918م والاعتراف بها عن طريق قناصلها بطرابلس، وما أن علمت الحكومة الإيطالية بنبأ التأسيس للجمهورية فسعت إلى إفشاله وذلك باستمالة "عبد القادر الغناي" قائد جيش الجمهورية وعقدت معه معاهدة سرية أسفرت عن إعلانه بأن الحكومة الإيطالية وحكومة الجمهورية الطرابلسية قد عقدتا صلحا وذلك أدى إلى حدوث فوضى في صفوف الجيش وأنحلت أغلب وحداته، ووقعت عدة معارك ورغم انتصار القوات الإيطالية إلا أنها دخلت في مفاوضات مع الجمهورية الطرابلسية وذلك كسبا للوقت ولكي لا تظهر ضعفها أمام قوات المجاهدين، بالرغم من قوة جيشها وإمكانياتها المالية والحربية القوية، وذلك ربما يرجع إلى فشلها في الاستيلاء بالقوة على كل المناطق التابعة للجمهورية الطرابلسية[1] ولانشغالها بالحرب العالمية الأولى.

أ-مفاوضات خلة الزيتون "صلح سواني بنيادم":

وقد شرعت المفاوضات بين الإيطاليين وحكومة الجمهورية الطرابلسية والتي سميت بمفاوضات خلة الزيتون "صلح سواني بنيادم"[2] يوم 10 مارس 1919م وكان الوفد يضم كلا من: "الهادي كعبار" رئيسا، "أحمد المريض"، "الصويعي الخيتوني"، "محمد فكيني"، و"علي بن تتوش"، أما .الجانب الإيطالي فكان برئاسة الجنرال "تارديني" مدير المكتب السياسي في طرابلس، واستمرت المفاوضات أكثر من شهر دون الوصول إلى اتفاق بسبب رفض الجانب الإيطالي لمطالبة الجمهورية الطرابلسية في الحرية والاستقلال والمساواة أمام القانون بين العرب والإيطاليين

1- رودولفو غراسياني، نحو فزان، ت: طه فوزي، مكتبة الصايغ، القاهرة، 1976م، ص 41.

2- سواني بنيادم أو بني آدم منطقة صغيرة تقع غرب طرابلس 24 كم. انظر: خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 282.

مع حق العرب في تحكيم الشريعة الإسلامية والمساواة في دخول المسابقات الخاصة بالوظائف المدنية والعسكرية وحق العرب في الإدارة[1].

في يوم 1919/04/16م كان اللقاء الثاني بين الوفدين الطرابلسي والإيطالي واستمرت الاجتماعات حتى يوم 1919/04/26م انتهت بوصول الطرفين إلى اتفاق أو صلح عرف "بصلح بنيادم" أو "خلة الزيتون" وتم فيه تبادل الأسرى ومنح القطر الطرابلسي دستورا يخوله ممارسة حقوقه المدنية والسياسية.

ب–القانون الأساسي لطرابلس:

صدر في أول يونيو 1919م، يشمل أربعين مادة، وقد أعطى حقوقا سياسية وحريات دينية، وحكم عن طريق مجلس نيابي، وحكومة يطلق عليها "طرابلس الغرب" وقد نص على المساواة بين الإيطاليين والطرابلسيين وحق الانتخاب والترشح وحق مغادرة البلاد واحترام العقيدة، وقد أعفى الطرابلسيين من الخدمة العسكرية، وأن يكون التعليم الابتدائي والثانوي باللغة العربية مع التعليم الإلزامي للغة الإيطالية، كما تعرض القانون الأساسي لنظام الحكم ونص على إنشاء مجلس حكومي يكون أعضاؤه عشرة؛ ثمانية من الطرابلسيين انتخبهم مجلس النواب، واثنان من الإيطاليين يختارهم النائب العام، ويرأس هذا المجلس حاكم عام معين من قبل ملك إيطاليا يحدد القانون جنسيته، وقد قسمت منطقة طرابلس إلى نواحي وأقضية ...[2].

وبالإضافة إلى بنود القانون فقد وافقت الحكومة الإيطالية أن يكون لأعضاء الجمهورية الطرابلسية الحق في تجنيد عدد من الليبيين للخدمة المحلية، وقد رحب أهالي طرابلس بالقانون الأساسي. وبعد مضي ثمان سنوات من بداية الحرب استطاع الطرابلسيين دخول مدينة طرابلس بحرية واستقبل حاكم طرابلس زعماء الجمهورية في احتفال كبير[3].

تشكلت حكومة القطر الطرابلسي طبقا لنصوص القانون الأساسي وتم تقديم أسماء أعضائها إلى الوالي الإيطالي في طرابلس، وفي 30 سبتمبر 1919م تقرر إنشاء حزب باسم "حزب الإصلاح الوطني" وذلك للدفاع

1– محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 450.
2– بروشين، المرجع السابق، ص 181.
3–نفسه، ص 182.

عن المكاسب التي نص عليها القانون الأساسي، كما تم إصدار صحيفة ناطقة بإسمه إسمها "اللواء الطرابلسي"[1] والتي صدر العدد الأول منها يوم 1919/10/04م وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، وقد عملت على كسب الرأي العام الإيطالي إلى جانب القضية الطرابلسية وذلك لإقامة الحجة على الحكومة الإيطالية بعدم تطبيقها لبنود القانون الأساسي للقطر الطرابلسي، إذ تلكأت الحكومة الإيطالية في تطبيق القانون واخترعت تفاسير لبعض البنود مما أوقع الطرفين في خلافات مستمرة، وعمل الإيطاليون على بث الفرقة بين أعضاء الجمهورية الطرابلسية[2] وقد نجحت في ذلك، ونتيجة لهذه الأوضاع المتدهورة قرر بعض الأعيان الدعوة إلى عقد مؤتمر للتشاور ودراسة الوضع وإنشاء حكومة وطنية للوقوف في وجه المراوغة الإيطالية، وبعد انعقاد عدة جلسات للمؤتمر تغيب عليها العديد من الزعماء بسبب الصراعات القبلية خلص المؤتمر إلى بعض القرارات ورأى ضرورة عرضها على الحكومة الإيطالية في روما، وشكلوا وفد للسفر إلى روما وتم رفض الحاكم الإيطالي في طرابلس "مركاتلي" ولكن أمام إصرار أعضاء الوفد تم السماح لهم بالذهاب غير أن الوفد فشل في مهمته بعد إرسال الحكومة الإيطالية لوفد من أعوانها الليبيين وحملهم لوجهة نظر تختلف عن تلك التي قدم بها وفد زعماء الجمهورية الطرابلسية.

ونتيجة فشلها في مفاوضات خلة الزيتون لجأت القوات الإيطالية من جديد إلى التفاوض مع زعماء المقاومة الوطنية لانشغالها كما سبق الذكر بالحرب العالمية الأولى ومحاولة منها لتخفيض الضغط عليها في الداخل.

1- صحيفة اللواء الطرابلسي صدرت عام 1919م، وهي صحيفة سياسية أدبية اجتماعية اقتصادية، طبعت أعدادها الأولى بمطبعة يهودية أنشأها اليهودي إفريم تشوبة بن شالوم وجلب لها الآلات والمعدات من أوروبا، وطبعت الصحف العربية والأجنبية ثم تحولت بعد ذلك إلى مطبعة الشرقي الوطنية.

2- علي عبد اللطيف أحميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص 138.

المبحث الثاني: التفاوض مع الأمير إدريس السنوسي (1916-1922)

لقد قادت الظروف الدولية والمحلية إلى دخول إيطاليا في مفاوضات مع الأمير "إدريس السنوسي"[1]، فعلى الصعيد الدولي كانت قد قامت الحرب العالمية الأولى والتي أصبحت إيطاليا طرفا فيها وتعرضت كما أشرنا قواتها في المناطق الداخلية للحصار بسبب قوة المقاومة التي واجهتها في الداخل وهزيمتها في عدة معارك مثل:القرضابية ومعركة سيدي كريم القرباع وغيرها، وفي المقابل وعلى الصعيد الداخلي في برقة تعرضت قوات المجاهدين تحت قيادة "أحمد الشريف" إلى هزيمة على يد القوات الإنجليزية في مصر وانتهى ذلك الوضع بمغادرة "أحمد الشريف" للبلاد وتزامن ذلك مع عودة الأمير "إدريس السنوسي" من الحجاز بعد أدائه لفريضة الحج، والذي كان من أكبر المعارضين لسياسة ابن عمه "أحمد الشريف "في محاربة الإنجليز، كما عملت زيارته للأراضي المقدسة ولقائه للعديد من الساسة العرب والإنجليز دورا كبيرا في توجهاته السياسية[2]، كذلك كانت ظروف حياته قد أبعدته عن الإحتكاك بالعثمانيين والتعامل معهم، إلا أنه بعد عودة الأمير "إدريس "من الحجاز بدأ يشارك ابن عمه أمور الإدارة وبدأ ينافسه في تولي مقاليد السلطة في برقة واتخذ من مدينة أجدابيا عاصمة لإمارته وأصبح الحاكم الفعلي للإقليم واعترفت به القوى الأوروبية كزعيم لقبائل البدو وممثلا لها في برقة.

وقد رأى "إدريس" أن يدخل في مفاوضات مع الإنجليز للوصول إلى إتفاق من أجل إنهاء الحرب وفتح الطرق التجارية مع مصر[3]، وذلك بسبب المجاعة التي حلت ببرقة ووقوع أهل برقة بين جبهتي قتال ضد بريطانيا وإيطاليا فألحوا على الأمير "إدريس" للتصالح مع بريطانيا للتفرغ لحرب الايطاليين ،فأرسل الأمير رسالة إلى "مكماهون"[4] المعتمد البريطاني في مصر مقترحا عليه عقد مفاوضات للصلح فأجابه "مكماهون" بالموافقة على

1- الأمير محمد إدريس السنوسي: هو محمد إدريس بن السيد محمد المهدي بن محمد بن علي السنوسي ولد في الجغبوب جنوب شرق طبرق بشرق ليبيا (20 رجب 1307هـ/12 مارس 1890 م، تولى إمارة الحركة السنوسية في 1916م، ظل ملكا على ليبيا حتى قامت الحركة التغييرية (ثورة الفاتح في 1 سبتمبر 1969م)، انتقل إلى مصر لاجئا سياسيا وظل هناك حتى توفي في 12 شعبان 1404هـ/25 مايو 1983م ،أنظر أحمد تمام،إدريس السنوسي،الصوفي الملك(في ذكرى وفاته 12 من شعبان 1404هـ)،متاح على الموقع الالكتروني https//archive.islamonline.net تاريخ الزيارة: 2018/04/13.

2- جلال يحي، المرجع السابق، ص 869.

3- محمد الأخضر العيساوي، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، ط1، مطبعة حجازي،القاهرة،1936،ص 21.

4- مكماهون: الممثل الأعلى لملك بريطانيا في مصر (1862-1949م)، اشتهر بمراسلاته مع شريف مكة الشريف حسين بن علي بين عامي 1915 و1916 خلال الحرب العالمية الأولى، وقد كان دبلوماسي بريطاني وضابط بالجيش الهندي، خدم

فكرة المفاوضات بشرط أن يشارك فيها الإيطاليون أيضا وقبل "إدريس "بذلك خاصة وأن علاقة السنوسيين بدأت تسوء مع الأتراك في برقة، وبهذا استأنف الإنجليز مفاوضتهم مع السنوسيين وذلك لرغبتهم في إنهاء الحرب على الحدود الغربية لمصر والتي تعثرت في زمن "أحمد الشريف"، وفي عام 1916م وصل الوفد البريطاني إلى ميناء "الزويتينة" غرب بنغازي من أجل مقابلة الأمير"إدريس" لغرض التفاوض لإنهاء حالة الحرب، وقد حضر من الجانب الإنجليزي الكولونيل "تالبوت Talbot Milo" والضابط "هسلم Haslam" وضم الوفد البريطاني الكولونيل "فيلا Villa"[1] والكوماندانتور "بياجنتين Piacentini" ومعهم ممثلون عن السلطان المصري وهم "محمد الشريف "وابنه "محمد المرغني" و"أحمد محمد أفندي".

بدأت المفاوضات بين الأطراف الثلاثة خلال شهري أوت وسبتمبر 1916م دون أن يستشير الأمير "إدريس" مندوب الحكومة العثمانية "نوري بك" أو أي أحد من الزعماء الطرابلسيين وكان الوفاق ظاهرا منذ البداية بين الليبيين والإنجليز، أما مع الحكومة الإيطالية فكانت وجهات النظر والمطالب متباينة خاصة حول قضايا الأسرى ومسألة الإعتراف بالسيادة الإيطالية على برقة فقد كانت من بين شروط الإيطاليين اعتراف "إدريس السنوسي" بالسيادة الإيطالية على برقة وأن يسلم المجاهدين أسلحتهم وأن توقف العمليات العسكرية بين الطرفين مقابل إعفاء الزوايا السنوسية من كل الضرائب والرسوم، وتتعهد إيطاليا بإحترام الشرعية الإسلامية وتحسين الأحوال الصحية والتعليمية في البلاد[2]، ويعترف الإيطاليون بالحركة السنوسية وبأميرها "إدريس السنوسي "وإعطائه استقلالا إداريا[3]، إلا أن هذه المفاوضات لم تلق قبولا من الحكومة الإيطالية في روما فقد أصدر وزير المستعمرات "جيوفاني أمنيدولا Giovanni Amendola" أمرا بقطع المفاوضات وعدم امتلاكه الصلاحية للتوقيع على أية اتفاقية مع السنوسيين، أما الوفد الانجليزي فلم يكن هناك ما يعيق اتفاقه مع الجانب الليبي سوى رئيس الوفد الإنجليزي "تالبوت" الذي أصر على عدم التوقيع على أي إتفاق مع السنوسيين قبل الوصول إلى إتفاق مع

كمندوب سامي في مصر من 1915-1917م،أنظر: صالح اليوسف،"مراسلات الحسين-مكماهون"،مجلة السنة،العدد العشرون،موسوعة مجلة السنة،القاهرة،30 أوت 1915،ص 95.

1- محمود الشنيطي، قضية ليبيا، المرجع السابق، ص 80.

2-نفسه، ص 81.

3- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 196.

الإيطاليين[1]، وقد غضب الكولونيل "تالبوت" من تصرف السلطات الإيطالية في محادثات الزويتينة وبذل جهودا لإقناع الأمير "إدريس "بها، لذلك دعا الطرفين لمفاوضات أخرى.

1- اتفاقية عكرمة[2] 1917م:

استؤنفت المحادثات في أوائل سنة 1917م في عكرمة وكان الوفدان الإنجليزي والإيطالي يقيمان في مدينة طبرق، بينما الأمير "إدريس السنوسي"كان يقيم في منطقة عكرمة، حيث تألف الوفد الانجليزي من الكولونيل "تالبوت" رئيسا والضابط "رود Rood"، أما الوفد الإيطالي فكان مكونا من الكولونيل "لويجي بينتور Lugi Pintor" رئيسا والكولونيل "De Vita"، وقد ظهر أيضا منذ البداية الخلاف بين وجهات النظر الإيطالية والسنوسية، إلا أن وساطة الوفد الإنجليزي قادت الطرفين إلى التوصل إلى اتفاق مشروط[3]، تضمن إيقاف العمليات العسكرية بين الطرفين في برقة، تؤمن للسكان المحليين حرية التنقل بين الساحل وداخل البلاد، والعمل على فتح الطرق التجارية والأسواق في المستقبل، وأن يبقى كل طرف في المنطقة التي يسيطر عليها حتى توقيع هذه المعاهدة، وإعفاء أملاك الزوايا السنوسية من الضرائب، كذلك بند آخر في هذه الإتفاقية خاص بترميم الزوايا وإحترام الدين الإسلامي والحفاظ على المحاكم الشرعية الخاصة بأمور الشريعة كالزواج والطلاق وغيرها[4]، وفي المناطق الخاضعة للحكومة الإيطالية تقوم إيطاليا بدفع مرتبات لشيوخ الزوايا السنوسية بها[5]. كما كان على رؤساء الزوايا في المناطق الداخلية الخاضعة لسلطة الأمير "إدريس" أن يقوموا بدور الوساطة بين الإدارة الإيطالية والقبائل وأجلت مسألة تصفية المعسكرات الحربية وتجريد القبائل من السلاح إلى مباحثات لاحقة.

أما جانب المعاهدة الخاص بالإتفاق البريطاني السنوسي والتي وقعه الكولونيل "تالبوت" لم تعترضه أية صعوبة لأن الأمير أعاد إليهم الأسرى جميعهم، واستؤنفت العلاقات التجارية بطريق الساحل المصري لم يسمح

1- أمين السعيد، الدولة العربية المتحدة، ج3، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1938م، ص 38.

2- **عكرمة:** منطقة تقع جنوب مدينة طبرق حوالي 40 كم اتخذها المجاهدون منذ بداية الاحتلال الإيطالي مقرا لقواتهم، أنظر: خليفة التليسي،معجم معارك الجهاد،المرجع السابق،ص344.

3- محمد خدوري، ليبيا الحديثة (دراسة في تطورها السياسي)، ت: نيقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، 1966م، ص 27.

4- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 290.

5- بروشين، المرجع السابق، ص 164.

بإقامة زوايا سنوسية في مصر[1]، لكن الزكاة كانت تجمع من أتباع السنوسية المقيمين في مصر، وأن تصان أملاك الأمير" إدريس" والسنوسيين في مصر، وعهد إلى الأمير بإدارة واحة الجغبوب مع أنها كانت في مصر.

وبهذه الاتفاقية تمكن الأمير "إدريس "من إعادة فتح الطرق التجارية مع مصر لإنعاش برقة وإخراجها من المجاعة، كما ساهمت في إطلاق سراح المعتقلين الليبيين في مصر[2] مقابل أمن الانجليز على حدودهم الغربية، كما أعطت هذه المعاهدة الإيطاليين فرصة لدعم وتنظيم مواقعهم التي كانوا قد احتلوها في برقة، واقتصرت حركة المقاومة في هذه الفترة على مناطق الجبل الأخضر وبعض الواحات البعيدة في برقة.

كما تحصل الإنجليز والإيطاليون على مكسب آخر وهو إخراج الضباط الأتراك من برقة نهائيا، وذلك عندما حاول "نوري بك" قطع المفاوضات بين الأمير" إدريس" والإيطاليين والإنجليز، وذلك بتحريض الأهالي في مدينة أجدابيا على السنوسيين فأسرع الأمير "إدريس" إلى هناك وطوق المعسكر التركي وأجبر الضباط على تسليم أنفسهم أو الخروج إلى مصراتة ونفي بعضهم إلى الكفرة والجغبوب، كما استغل السنوسيون فترة السلام التي أعقبت معاهدة عكرمة في دعم معسكراتهم الحربية في أجدابيا والأبيار وتاكنس وكان لكل معسكر قائم مقام وقائد للقوات المسلحة وقاضي وجابي للزكاة، وقسم الأمير "إدريس "برقة من الناحية الإدارية إلى ثلاثة أقسام: الشرقي والغربي والأوسط[3].

2- القانون الأساسي لبرقة:

أما فيما يخص القانون الأساسي لبرقة في 31 أكتوبر 1919م أعلنت إيطاليا دستورا لبرقة بعد إعلانها لدستور طرابلس، كما منحت الجنسية الإيطالية لليبيين، وتلي نص الدستور بالكامل من طرف "دي مارثينو" والي برقة أمام الحاضرين إلى جانب تأسيس برلمان "مجلس نواب" في برقة، إلا أن ذلك لم يحدث في طرابلس، وقد أعلن عن إجراء الإنتخابات في برقة وتولى الإيطاليون الإشراف عليها وقد وضعت شروط للناخب والمنتخب، وتم منع التصويت للوطنيين المحكوم عليهم بأية عقوبة، وكذلك كل عسكري يحمل السلاح، وقد ضمن القانون الأساسي حرية المعتقد[4] وعدم المساس بالملكية الخاصة وضمان حرية الإجتماعات وحرية الصحافة وحق التعليم، وسمح بافتتاح المدارس وأعفى أهالي برقة من الخدمة العسكرية في الجيش الإيطالي، وسمح لهم بتشكيل وحدات عسكرية

1- ايفانز ريتشارد، السنوسيون في برقة، ت: عمر الديداوي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ص 244.
2- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 301.
3- بروشين، المرجع السابق، ص 168.
4- محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 87.

محلية،إلا أن شيوخ القبائل المعارضة اجتمعوا في مدينة أجدابيا والذين عارضوا هذا القانون مما دفع بالحكومة الإيطالية إلى الدخول في مفاوضات جديدة أسفرت عن اتفاقية الرجمة في 1920/10/25م[1].

3- اتفاقية الرجمة[2] 1920/10/25:

لقد كان الإيطاليون غير راضون عن الإتفاقيات السابقة لأنهم كانوا يطمحون إلى السيطرة التامة على ليبيا، ولذلك حاولوا أن يتقربوا إلى السكان أملا منهم في أن ينتهي بهم الأمر إلى قبول السيادة الإيطالية فقامت إيطاليا كما سبق القول بمنح برقة قانونا أساسيا على غرار الذي منح لطرابلس، كما أن الأمير "إدريس"كان جادا في إيجاد تسوية دائمة مع الإيطاليين، إلا أن زعماء القبائل في برقة الذي كانوا يقاومون الإيطاليين بزعامة "عمر المختار" لم يكونوا متفقين مع الأمير في إعلان الهدنة مع إيطاليا، كما أنهم رفضوا القانون الأساسي الذي منحه الإيطاليون لبرقة، وبعد مفاوضات طويلة استبدلت اتفاقية عكرمة باتفاقية وقعت في الرجمة تضمنت حوالي عشرين مادة[3]، وأكدت هذه الاتفاقية على إمارة الأمير "إدريس "وتقسيم برقة إلى قسمين: القسم الساحلي ويشمل مدن الساحل وبعض المناطق في الجبل الأخضر ومناطق الحدود المصرية، والقسم الداخلي ويشمل الواحات الجنوبية جالو، أوجلة، الكفرة وكذلك الجغبوب[4]، ويخضع القسم الساحلي للحكومة الإيطالية والقسم الداخلي إلى إدارة مستقلة تحت إمارة "إدريس السنوسي"، ويمنح لقب أمير على أن يكون هذا اللقب وراثيا، وأن تكون أجدابيا عاصمة له، ومن حق الأمير التجول والإقامة في جميع أنحاء برقة متى شاء، والتزمت الحكومة الإيطالية بالإستماع إلى رأي الأمير عند إصدارها القوانين المتعلقة بواحات الداخل، كما أعطت الأمير الحق بمطالبة الحكومة الإيطالية في بعض الحالات بتخفيف الحكم على المحكومين أو بتبرئتهم وذلك وفقا للمادة العاشرة[5].

1- نيقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، المرجع السابق، ص 92.

2- **الرجمة:** مدينة تقع جنوب شرق مدينة بنغازي بحوالي 25 كم على الحافة الأولى للجبل الأخضر، تكونت بها أولى معسكرات الجهاد بعد سقوط مدينة بنغازي في يد القوات الإيطالية، وقد سميت هذه المعاهدة التي كانت بين الأمير "إدريس" والسلطات الإيطالية باسم المدينة، أنظر: خليفة محمد التليسي،معجم معارك الجهاد،المرجع السابق،ص 244.

3- محمد عبد الرزاق مناع، المرجع السابق، ص 89.

4- سامي حكيم، حقيقة ليبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م، ص ص90-95.

5- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 313. بروشين، المرجع السابق، ص 169.

وقد أعلنت الحكومة الإيطالية بأنها لا تنوي بأي حال من الأحوال نزع الأراضي من أصحابها سوى الأراضي التي يملكها الأفراد والتي تمتلكها الزوايا، وقد تعهد الأمير بأن تحل الأدوار[1] العسكرية في مدة لا تتجاوز ثمانية أشهر، على أن يتم الإحتفاظ بألف جندي فقط لإستخدامهم في شؤون إدارة البلاد وحفظ النظام، كذلك نصت الإتفاقية على أن تكون اللغتان الرسميتان في برقة هما الإيطالية والعربية وفقا للقانون الأساسي وأيضا في المحاكم تكون المرافعات باللغتين[2]، كما نصت على تخصيص رواتب شهرية للأمير ولأفراد أسرته[3] وبعض المبالغ الأخرى الخاصة بمصاريف الأمير ويكون دفع هذه المرتبات سنويا أي دفعة واحدة، ويدفع الأمير مرتبات أفراد أسرته، وأن يمنع الأمير من تحصيل الضرائب، مع ضمان حرية التجارة.

والواضح أن اتفاقية الرجمة كانت تنص على أهم ما جاء في القانون الأساسي، وتزيد عليه ما يتصل بالأمير إدريس والعائلة السنوسية من إعتراف بالإمارة في كنف الرعاية الإيطالية وترتيب المعاشات والمعاونة في حكم البلاد، لكن الأمير "إدريس "صرح بأن الإتفاقية أحدثت إزعاجا وتعكيرا في المزاج بين طبقات شعب الجبل لذلك علل بأنه يجب التأني في تطبيق الإتفاق دون اللجوء إلى السرعة[4].

4- اتفاقية بومريم[5] 11 نوفمبر 1921:

يبدو أن ما نصت عليه إتفاقية الرجمة من ضرورة إلغاء الأدوار في مدة لا تتجاوز ثمانية أشهر قد كانت بمثابة بذرة للخلاف بين الطرفين، فقد تعذر إقناع الأهالي بتسليم أسلحتهم وحل الأدوار وذلك لعدم ثقة الأهالي في وعود الحكومة الإيطالية من خلال تجربتهم معها في الإتفاقيات السابقة، وفي هذا الصدد حاولت الحكومة

1- **الأدوار:** هو نظام عسكري يقوم على أساس قبلي أقامه عمر المختار، وانطوت تحته كل القبائل في المنطقة الشرقية ووضع لكل دور قائد، وكان الغرض من هذا النظام أن تقوم كل قبيلة بتزويد مقاتليها بالسلاح والخيول والمال، وحث هذا النظام على التنافس بين القبائل،لأن هذه الأدوار تسمى بأسماء القبائل مثل: دور العبيد. أنظر: غادة الحلايقة،تعريف عمر المختار،متاح على الموقع الالكتروني:.w.w.w.mawdoo3.comتاريخ الزيارة:2018/03/24.

2- محمد عبد الرزاق مناع، المرجع السابق، ص 87.

3- أمين السعيد، المرجع السابق، ص 310.

4- ردولفو غراسياني، برقة الهادئة، ت: إبراهيم سالم بن عامر، ط4، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، 1998م، ص 30.

5- **أبو مريم:** موقع على بعد 11 كم جنوب غربي الأبيار ببرقة، جرت بهذا الموقع معركة حربية في نطاق العمليات العسكرية الأولى في 27 يونيو 1913م بعد أن تمكن الإيطاليون من السيطرة على منطقة نيتنا. انظر: محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، المرجع السابق، ص 102.

الإيطالية إثارة الفتنة بين الأمير إدريس وشيوخ القبائل فأخذت تتقرب إلى الأمير إدريس حيث نقلته على ظهر باخرة إيطالية لأداء فريضة الحج سنة 1919م عندما منعته بريطانيا من عبور الأراضي المصرية، كما سافر الأمير بعد توقيع معاهدة الرجمة إلى روما في 1920م واستقبلته الحكومة الإيطالية استقبالا رسميا[1] ومكث في إيطاليا حوالي أربعين يوما.

عجزت الحكومة الإيطالية والأمير "إدريس السنوسي" في إقناع شيوخ القبائل بحل الأدوار دعا الأمير شيوخ القبائل إلى اجتماع عام في مدينة الأبيار في سبتمبر 1921م حضره حوالي مئة رجل اجتمع بهم "محمد صفي الدين السنوسي" ابن عم الأمير، وفي هذا الإجتماع ندد شيوخ القبائل بتدخل إيطاليا في الشؤون الداخلية للبلاد وأن أهل برقة لا يقبلون بالإيطاليين كتجار فقط، ووافق المجتمعون على عدم حل الأدوار لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي يستطيعون من خلالها الحصول على حقوقهم من إيطاليا، ثم اقترحوا على الأمير "إدريس" حلا وسطا وهو أن يعرض على الحكومة الإيطالية إنشاء معسكر إيطالي إلى جانب معسكر للمجاهدين وأن تتفق الحكومة الإيطالية على الأدوار المختلطة بمدة خمس سنوات حتى يتأكد المواطنون من مدى وفائها بعهودها وتنفيذها للقانون الأساسي المعطى لبرقة تنفيذا كاملا.

وعندما كانت الحكومة الإيطالية غير راغبة في نشوب حرب جديدة مع القبائل البرقاوية في هذا الوقت وافق مجلس الوزراء الإيطالي في أكتوبر 1921م على اتفاق عقد في منطقة أبومريم نص على إقامة الأدوار المختلطة، وقد حددت الحكومة الإيطالية نسبة الجنود في الأدوار المختلطة بعشرة إيطاليين لكل ثمانية من العرب[2]، فوافق الأمير على ذلك وأن يتقاضى جنوده مرتبات من الحكومة الإيطالية، وفي الواقع فإن الإيطاليين كانوا قد قبلوا هذه الشروط ظاهريا فقط، وذلك نتيجة للظروف الدولية التي أدخلتهم الحرب العالمية الأولى وما تلاها من تبعات، وكان عقد هذه الإتفاقيات لإعطائهم الوقت لإعداد أنفسهم لمعاودة القتال[3]، كما أن "مون دي مارتينو" الذي قاد المفاوضات مع الأمير "إدريس "وقدوم وال جديد يتسم بالعنصرية والتعصب مع تغير رأي السياسة الإيطالية جعل إيطاليا ترى أن جميع الاتفاقيات التي أبرمتها لم تحقق مخططاتها، لذلك بدأت قواتها في خرق هذه الإتفاقيات، وفي هذه الأثناء قدم وزير المستعمرات الإيطالية "جيوفاني أمنيدولا Giovanni Amendola"

1- محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 89. محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 323.
2- بروشين، المرجع السابق، ص 171.
3- نيقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا، المرجع السابق، ص 93.

إلى برقة لكي يستطيع تجهيزات قواته وأيضا لمقابلة الأمير إدريس وقد تم لقائه في "غوط الساس"[1] في 1922/07/08م، وقد حضر هذا الاجتماع أيضا الحاكم الإيطالي في طرابلس "فولبي" وكانت محادثات الأمير مع الإيطاليين في هذا اللقاء حول موافقة إيطاليا على توحيد الإقليمين طرابلس وبرقة تحت إمرته، بعد حصوله على مبايعة شيوخ المنطقة الغربية الذين كانوا بدورهم مصرين على الجهاد، وازدادت المقاومة بأسا حتى عام 1922م عندما دخلت مرحلة أكثر تقدما وتنظيما في مواجهة الاحتلال، وذلك من خلال اشتداد حركة الجهاد الليبي بقيادة "عمر المختار"[2]، وبهذا تنتقل المقاومة من يد السنوسيين إلى يد "عمر المختار" الذي سيؤدي دوره على أكمل وجه ويعطي درسا في البطولة للإيطاليين.

المبحث الثالث: المفاوضات الإيطالية مع عمر المختار (1923-1931م)

لقد كانت إيطاليا تسعى في كل مفاوضاتها مع المجاهدين إلى كسب الوقت إلى صالحها والتنحي والانسحاب من أية إتفاقية متى شاءت وبكل حرية، فخلال اللقاء الأخير الذي جمع الأمير مع وزير المستعمرات الإيطالية حول توحيد الإقليمين وموافقتها على ذلك مع رفضها أن يكون الأمير "إدريس" أميرا لكل ليبيا، وقد قال "أمندولا" إن "إدريس" أميرا فقط على برقة، وعندما شعر الأمير "إدريس" بأن الحكومة الإيطالية بدأت تسعى إلى نقض إتفاقياتها معه قرر الهجرة إلى مصر طلبا للعلاج[3]، وفي ديسمبر 1922م تمت هجرته من أجدابيا إلى مصر وعين أخاه السيد "رضا" نائبا عنه في برقة، كما عين عمر المختار لقيادة حركة المقاومة الشعبية في برقة.

1- حياة "عمر المختار الجهادية:

هو" عمر المختار بن عمر المنفي" نسبة إلى قبيلة المنفة، ولد بالبطنان عام 1826م وقد نشأ نشأة دينية إسلامية[4]، تربى فيها، تلقى تعليمه الأول في زاوية "جنزور"، ثم سافر إلى الجغبوب ليمكث فيها ثمانية أعوام للدراسة والتحصيل على كبار علماء ومشايخ السنوسية، وقد شارك في الجهاد بين صفوف المجاهدين في الحرب الليبية الفرنسية في المناطق الجنوبية (الجنوب الغربي، تشاد) وحول واداي، وقد استقر المختار فترة من الزمن في قرو

1- **غوط الساس:** يقع بالجبل الأخضر قرب جردس العبيد وقد وقعت فيه العديد من المعارك التي خاضها دور العبيد ضد إيطاليا. انظر: محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، المرجع السابق، ص 380.

2- أحمد عاشور اكس، لمحات تاريخية عن النضال الليبي المسلح، طرابلس، 1985م، ص 159.

3- محمد الطيب الأشهب، عمر المختار أبطال الجهاد والسياسة في ليبيا، القاهرة، 1957م، ص ص53-54.

4- نبيه زكريا عبد ربه، الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية، دار الثقافة، ط1، الدوحة-قطر، 1986م، ص 28.

مناضلا ومقاتلا، ثم عين شيخا لزاوية "عين كلك" ليقضي فترة من حياته معلما ومبشرا بالإسلام في تلك المناطق النائية، وقد عاش حرب التحرير والجهاد منذ بدايتها يوما بيوم، وفي تلك السنة تولى الحزب الفاشي السلطة في إيطاليا واستولى على مقاليد الحكم في روما ومنذ ذلك الوقت أخذت السلطات الإيطالية في برقة تستفز الحكومة الوطنية وقررت إخماد المقاومة الليبية بكل وسائل العنف والإرهاب، لذلك سعى زعيم المقاومة إلى تنظيم معسكرات الجهاد تحت ما عرف باسم الأدوار "المعسكرات"[1]، وجعل لكل منها قائدا ومجلس قيادة مستقلة، لكنها جميعا تخضع لقيادته. ثم سافر إلى مصر[2] في مارس 1923م بصحبة "علي باشا العبيدي" وترك رفقاؤه عند "بئر الغبى"، واستطاع اجتياز الحدود المصرية لطلب العون والمساعدة المالية من إخوانه العرب والمسلمين وكذلك مقابلة "إدريس السنوسي"، وقد كان "عمر المختار "عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها، وما إن علمت السلطات الإيطالية بوجود "عمر المختار" في مصر حتى قامت عن طريق عملائها بمصر بالاتصال به وإقناعه بأن تجعل منه الشخصية الأولى في ليبيا كلها، وإذا أراد البقاء في مصر فما عليه إلا أن يتعهد بأن يكون لاجئا ويقطع علاقته "بإدريس السنوسي"، إلا أنه رفض فقد كان يدعو ربه دائما بأن يموت شهيدا في سبيل هذه القضية المباركة[3].

وقد تم الاتفاق بين "إدريس" و"عمر المختار" على تفاصيل الخطة التي يجب أن يتبعها المجاهدون ضد ايطاليا على أساس تشكيل الأدوار، واختيار القيادة الصالحة لها، وأن تظل القيادة العليا من نصيب عمر المختار نفسه، كما زوده الأمير بكتاب إلى "الرضا"، وتم الاتفاق على بقاء الأمير في مصر ليقود العمل السياسي ويهتم بأمر المهاجرين ويضغط على الحكومة المصرية والانجليزية بالسماح للمجاهدين بالالتجاء إلى مصر، وكذلك يشرف على إمداد المجاهدين بكل المساعدات الممكنة من مصر، وإرسال الإرشادات والتعليمات اللازمة إلى "عمر المختار"، واتفقا على أن يكون الحاج "التواتي البرعصي" حلقة الوصل بين الأمير وقائد الجهاد[4]. وقد حدث في أثناء وجود "عمر المختار" في مصر أن اشتبك المجاهدون مع القوات الإيطالية في معركتين كبيرتين في "بير جلال" والبريقة[5]، فانتصر المجاهدون على الإيطاليين، ومع هذه الانتصارات إلا أن القوات الإيطالية استطاعت احتلال

1- أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطاب المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 2004م، ص 49.

2- المرجع نفسه، ص ص49-50.

3- علي حلمي معروف، شرقي وقضايا العصر والحضارة، ط2، دار النهضة العصرية، بيروت، 1981، ص 291.

4- أحمد الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص 84.

5- محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 104.

أماكن المجاهدين في برقة ورجعوا إلى "دور العواقير"[1] بموقع البدين، وبعد معركة شديدة كبدت الطرفين خسائر فادحة انسحب المعسكر إلى أجدابيا، واستمر الزحف الإيطالي في ملاحقة المجاهدين حتى اشتبك مع طلائع دور المغاربة في الزوتينة، ولم يطل الدفاع عنها حتى احتلتها القوات الإيطالية وواصلوا زحفهم إلى أجدابيا حيث احتلوها في أفريل 1923م، أما "عمر المختار" بعد مغادرته مصر قبل وصوله إلى بئر الغبى حتى فوجئ بكمين نصبته القوات الإيطالية حيث جرت معركة عنيفة في 05 رمضان 1342هـ/23 أفريل 1923م[2].

2- معركة بئر الغبى:

وتعتبر هذه المعركة أول المعارك التي قادها شيخ المجاهدين "عمر المختار" وحقق فيها نصرا عظيما على القوات الإيطالية وقد وقعت في منطقة بئر الغبى على بعد ثمانين كم جنوب طبرق، حيث كان "عمر المختار" متوجها مع بعض المجاهدين إلى منطقة الجبل الأخضر وأثناء فترة استراحتهم تفاجئوا بعدد من المصفحات الإيطالية[3] تعترض طريقهم، وكانت مكونة من سبع سيارات وعليه فقد شعر المجاهدون بالقلق الشديد إذ أنهم لم يكونوا يتوقعون مجيء الإيطاليين، كما أنهم لم يكونوا قد سمعوا بهجومهم على المعسكرات السنوسية واحتلالها لأجدابيا، وفي أسرع مدة انجلت المعركة عن خسارة القوات الإيطالية وغنموا جميع الأسلحة التي كانت معهم وقد كان الانتصار[4] الذي حققه المجاهدون في معركة بئر الغبى حافزا لهم على أن يخوضوا الجهاد بعزيمة قوية.

وعليه فقد اتجه المجاهدون مباشرة بعد هذه المعركة نحو الجبل الأخضر ووصلوا إلى زاوية القطوفية وقابلهم "صالح الأطيوش" و"الفضيل المهشهش" وأطلعهم "عمر المختار" على تفاصيل معركة بئر الغبى وأطلعوه من جهتهم على تفاصيل معركة البريقة، بعد ذلك واصل سيره إلى "جالو" لمقابلة السيد "محمد رضا السنوسي" (أخ محمد إدريس السنوسي) لتبليغه بالتعليمات التي أخذها من الأمير "محمد إدريس السنوسي"، وخلال اللقاء الذي جمعه بالسيد "محمد رضا" اتفقا على تنظيم حركة الجهاد وإنشاء معسكرات الجهاد في الجبل الأخضر، وعليه عاد "عمر المختار" إلى منطقة الجبل الأخضر[5] وشرع في تشكيل معسكرات المجاهدين، وقد لعب نظام الأدوار

1- **دور العواقير:** هذا الدور مركزه في منطقة الشفعة، فهو أكبر الأدوار المقاتلة وحدوده من الحمدة شرقا إلى سيدي سلطان غربا. انظر: التليسي، سكان ليبيا، ج1، الدار العربية للكتاب، ص 175.

2- محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، المرجع السابق، ص ص 63-64.

3- نفسه، ص 64.

4- علي محمد محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، سيرة الزعيمين محمد إدريس السنوسي وعمر المختار، ص 190.

5- محمد الأخضر العيساوي، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، المرجع السابق، ص 68.

والمعسكرات دورا مهما في الجهاد الليبي مما يدل دلالة واضحة أنه كان على دراية بالأمور القتالية وكأنه تخرج من كلية حربية، وكان يمثل القائد الأعلى لهذه المعسكرات وكان يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة من أمور القتال، فهناك الإمداد الذي يصل من مصر وكذلك التواصل المستمر الذي يجب أن يقوم به في صفوف المجاهدين في مختلف المناطق وهناك أيضا الأموال التي تجمع لتأمين الذخيرة والسلاح والمؤن وكل هذه الأمور تتطلب مقدرة وصبر وشجاعة[1].

3- كفاح عمر المختار ضد الاحتلال الايطالي:

انطلاقا من الجبل الأخضر شرع الشيخ "عمر المختار" ينظم المجاهدين الذي كثر عددهم وعمل على تقسيمهم إلى عدة معسكرات ودوريات؛ أهمها: - **معسكر العبيد:** يتكون من ثمانمائة مقاتل تقع مخيماتهم قرب "بوفال" ويمتلكون نحو ألف وخمسمائة بندقية، وقد عين عمر المختار على هذا المعسكر "يوسف بورحيل المسماري". إلى جانب - **معسكر البراعصة:**ويتكون من أربعمائة وخمسون مسلح بالإضافة الى ستمائة آخرون مكلفون بالدفاع عن المخيمات، وتوجد خيامهم في منطقة جردس، وقد عين على هذا المعسكر "حسين الجويفي"، إضافة إلى- **معسكر العواقير:** وهو يعتبر من أهم المعسكرات والدوريات، ويتكون من نحو ألفين مقاتل ويتوزع على المنطقة الممتدة من الحمدة شرقا إلى سيدي سلطان غربا، حيث قال الجنرال الإيطالي "غراتسياني "أن كل هذه التنظيمات أعدها "عمر المختار"، الذي يعتبر محبي ومرتب الثورة ضد حركتنا وقواتنا مع قوة الشعب (ثلاثة آلاف مقاتل) أعدها لمقاتلتنا[2]. وبذلك فقد لمع اسمه كقائد بارع منتهجا في معاركه إستراتيجية عسكرية تقوم على حرب العصابات التي تعتمد الكر والفر لأنه يدرك جيدا عدم قدرة المجاهدين على المواجهة المكشوفة مع الإيطاليين لنقص العتاد والعدة[3].

كما أن المعارك التي خاضها كثيرة ولا مجال لحصرها، ولكن بشكل عام حوالي أربعة وثمانين معركة ضد الإيطاليين وقد قدم من خلالها أروع صور البطولات، وسعيا منهم لمواجهة الخطة التي وضعها "عمر المختار" عمل الإيطاليون على تنظيم أنفسهم أيضا، وذلك بتعيين الجنرال "مومبيلي" حاكما على ليبيا خلفا للجنرال "بون جواني" فواصل تنفيذ ما قد بدأه هذا الأخير من خطط، وجدير بالذكر أن إيطاليا لم تستطع منذ زحفها على أجدابيا سنة 1923م من احتلال مواقع أخرى وانحصرت مجهوداتها في الفترة الواقعة بين 1923-1927م على

1- عز الدين إسماعيل وآخرون، عمر المختار شيخ الشهداء، دار العودة، بيروت، 1975م، ص 52.
2- ردولفو غراتسياني، برقة الهادئة، المرجع السابق،ص ص 18-19.
3- نبيه زكريا عبد ربه، المرجع السابق، ص 29.

أدوار "عمر المختار" الذي لم يخرج يوما من معركة ليدخل في معركة أخرى، وهو ما جعلها تعيد النظر في خططها وإجرائها لتغييرات واسعة[1]، وقد استطاعوا احتلال مناطق متفرقة منه، وهو ما أثر سلبا على المجاهدين، وبعد فترة قصيرة تمكن الإيطاليون من احتلال الجغبوب التي كانت تعتبر أهم قلاع الحركة السنوسية وذلك بعد أن استصعب عليهم مواجهة المجاهدين في منطقة الجبل الأخضر وقد جهزوا لها حملة واسعة ودخلوها بدون مقاومة في 1926/02/08م[2] لكون أهل الجغبوب قد رحلوا عنها وقد كان لسقوط الجغبوب باعتبارها المركز الروحي للحركة السنوسية على أيدي الغزاة أثرها البالغ على نفوس المجاهدين وخاصة الشيخ "عمر المختار".

وقد دخل الشيخ المجاهد في معارك طاحنة وكانت من أهم تلك المعارك التي خاضوها ضد الإيطاليين معركة "الرحيبة" جنوب شرق المرج بتاريخ 1927/03/22م والتي تمكن "عمر المختار" ومن وراءه المجاهدين من تطويق القوات الإيطالية والمتكونة من إثني عشر ضابطا وسبعمائة وواحد وأربعون جنديا إلى جانب قوة المجاهدين التي كانت حوالي ثلاثمائة رجلا مع فارق كبير في العدة والعتاد ودارت معركة غير متكافئة بين الطرفين نجح فيها المجاهدون في توجيه ضربات موجعة وقاتلة لقوات العدو، وتبين للمحتل أن المجاهد العربي الليبي يدافع عن أرضه ودينه وذلك ما يشد من أزره ويجعله يستهين بالموت في سبيل الله والوطن والمثل العليا[3]. وعلى أثر الهزيمة الشنيعة في معركة الرحيبة للإيطاليين فكروا في طريقة للإنتقام من الليبيين فحدثت معركة أم الشفاتير التي استبسل فيها المجاهدون في الدفاع والمقاومة رغم استشهاد الكثير منهم وقد كانت هذه المعركة نقطة تحول في مسار حركة المقاومة الليبية وعلى أثرها أدرك "عمر المختار" السياسة التي انتهجتها إيطاليا الفاشية والتي تمثلت في حرب الإبادة والتدمير.

وفي ظل هذه التحديات من قبل "عمر المختار" والمجاهدون أيقن الإيطاليون أن الإستمرار في العمليات العسكرية لا جدوى منها نتيجة لحالة التعب الشديدة للمستعمر بفعل المعارك المتواصلة والهزائم التي لم يكن الإيطاليون يتوقعونها وهو ما دفعهم للتوقف عن العمليات الحربية، وقد اعترف "موسوليني" قائلا: "إننا لا نحارب

1- عيسى جبران، أعظم الشخصيات في التاريخ (سياسية، علمية، اجتماعية، فلسفية، دينية)، مراجعة: عبد الجليل مراد، الأهلية، بيروت-لبنان، 2008م، ص 286.

2- عز الدين إسماعيل وآخرون، عمر المختار شيخ الشهداء، المرجع السابق، ص 62.

3-المرجع نفسه، ص ص68-69.

ذئابا –كما يقول غراسياني– بل نحارب أسودا يدافعون بشجاعة عن بلادهم ... إن أمد الحرب سيكون طويلا"[1].

في أواخر 1927م وعلى الرغم من احتلال القوات الإيطالية للواحات والمراكز الروحية والهامة للسنوسية مثل الجغبوب وأمام الإستراتيجية التي وضعها "عمر المختار" أصبح الإيطاليون في حيرة من أمرهم وأصبح الوضع السياسي في إيطاليا مرهونا بتطور الأحداث في ليبيا[2]، وهو ما جعل الحكومة الإيطالية بقيادة "موسوليني" تحاول إيجاد وسائل كفيلة لإخماد حركة المقاومة الليبية محاولة في ذلك البحث عن سياسة جديدة لتطبيقها في برقة وطرابلس لذلك قام في ديسمبر 1928م بالإعلان رسميا عن توحيد الإدارة في ولايتي "برقة وطرابلس"، ثم قام بتعيين "بادوليو Badoglio" حاكما عاما على طرابلس[3] والذي يعتبر مجيئه إلى ليبيا مرحلة حاسمة للحرب، فمع توليه إدارة شؤون "طرابلس برقة" سارع إلى تنفيذ برنامجه الذي تلخص في تقليص عدد الجيش في ليبيا بقدر ما يكفيه للقيام بحرب العصابات ومطاردة المجاهدين، وقام بتعبيد الطرق في الجبل الأخضر لكي تسهل عملية التنقلات العسكرية ويسهل عليه القيام بهجوم كاسح ضد المجاهدين وكذلك للقضاء عليهم بصفة نهائية، كذلك عادت إيطاليا لسياسة التفاوض وقد دخلت مع "عمر المختار" في مفاوضات لكسب المزيد من الوقت والعمل على تقوية المراكز المحتلة وتهدئة الأوضاع[4].

ففي 15 فبراير 1929م راح يستعمل مع الليبيين أسلوب الترغيب والترهيب بحيث أعلن عفوا عاما عن الأفراد الذين يسلمون أنفسهم وأسلحتهم للحكومة الإيطالية بمعنى أنه خيرهم بين الاستسلام أو الإبادة، وأسقط ذلك في مناشير عن طريق الطائرات على المدن والقرى والنجوع الليبية[5] لإرهاب الناس وتخويفهم، غير أن ذلك لم يزد المقاومة إلا إصرارا على التصدي للأساليب والاستعمار الغاشم.

وحتى يضع "بادوليو" برنامجه موضع التنفيذ كلف الكولونيل "باريلا" حاكم منطقة المرج في مارس 1929م بأن يطلب التفاوض مع "عمر المختار" حول شروط الصلح وتحديد موعد لهذا الاجتماع، غير أن "باريلا" لم

1– ردولفو غراسياني، برقة الهادئة، المرجع السابق، ص 80.

2– علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، مصر، 2007م، ص 549.

3– ردولفو غراسياني، برقة الهادئة، المرجع السابق، ص 25. محمود شاكر، ليبية، الدار العلمية للنشر، لبنان، ط2، 1962م، ص 47.

4– محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، المرجع السابق، ص 129.

5– محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 334.

ينتظر جواب "عمر المختار" واستغل فرصة اطمئنان المجاهدين لبداية المفاوضات وإنشغالهم بعيد الفطر فهجم الإيطاليون على المجاهدين وهم يؤدون صلاة العيد غير أن المجاهدين تفطنوا لهم وردوهم على أعقابهم[1].

4- بداية المفاوضات:

أمام هذه التطورات والأحداث تظاهر الحاكم العام "بادوليو" في رغبته للسلام لإيجاد الوقت اللازم لتنفيذ الخطط وتغيير أسلوب قتال جنوده، فقد كلف "دودياشي"-متصرف درنة- بأن يمهد للتفاوض مع "عمر المختار" واستجاب أسد الصحراء لذلك وحاول التفاهم معهم لإنهاء دوامة الدمار، وقد كان أول اجتماع بين الشيخ ومندوب الحكومة الإيطالية "دودياشي" في منزل "علي باشا العبيدي" وحدد يوم 03 مارس، وقد اشترط "عمر المختار" على الحكومة الإيطالية لإظهار حسن نواياها بإطلاق سراح السيد "محمد رضا السنوسي" وتعيده إلى برقة باعتباره الوكيل الرسمي للأمير "محمد إدريس السنوسي"، واستجابت الحكومة لهذا الشرط واحضرت السيد "محمد الرضا"-الذي كان معتقلا في جزيرة أوستيكا- وعليه تم الاجتماع في 20 مارس 1929م بحضور ممثلين من الطرفين غير أن الاجتماع لم يسفر على أية نتيجة[2].

في 20 أفريل 1929م دارت مباحثات أخرى في وادي القصور وقد حضر هذا الاجتماع مع الجانب الإيطالي "محمد الرضا "وا"لشارف الغرياني" وغيرهم، وقد عرض مندوب الحكومة الإيطالية على"عمر المختار" ثلاثة خيارات: الذهاب غلى الحجاز، أو إلى مصر، أو البقاء في برقة مقابل راتب شهري ومعاملة حسنة فرفض "عمر المختار" وغضب غضبا شديدا[3].

في 26 ماي 1929م التقى"عمر المختار" بالوفد الإيطالي في منطقة القيقب وفي هذا الاجتماع عرض "الدودياشي"شروط الحكومة الإيطالية من بينها: عدم اعتراضها لعودة الأمير "إدريس" و"أحمد الشريف" وكل أعضاء الأسرة السنوسية إلى البلاد على أن يكون تحت إشراف الحكومة الإيطالية، وأن تحترم الزوايا وتدفع المرتبات لشيوخها وتعفى من الضرائب وأن يسلم المجاهدون أسلحتهم أو نصفها مقابل ألف ليرة إيطالية عن كل بندقية

1- علي محمد الصلابي، الشيخ الجليل عمر المختار (نشأته، وأعماله، واستشهاده)، دار الفكر، لبنان، ص 19.
2- ردولفو غراسياني، المرجع السابق، ص 28.
3- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 438.

يسلموها وأن ينضم بقية المجاهدين تحت هيئات تنظمها الحكومة إضافة إلى حل الأدوار وإبعاد الإخوان السنوسيين منها[1]، وفشل هذا اللقاء أيضا بسبب إصرار "عمر المختار" على عدم حل الأدوار وتسليم السلاح.

تواصلت الإجتماعات بين الطرفين، وكانت دائما تنتهي إلى طريق مسدود إلى أن كان اجتماع 19 جويلية 1929م بمنطقة سيدي رحومة الشهير والذي حضره والي ليبيا "بادوليو Badoglio" و"سيشلياني Sicilaini" وعدد من الضباط والأعيان الموالين لإيطاليا و"عمر المختار" و"الشارف الغرياني" و"علي باشا العبيدي" وعدد من الأعيان عن الجانب الليبي. وخلال هذا الاجتماع ظل "عمر المختار" متمسكا بالشروط التي تخدم مصالح الليبيين وتمسكه أيضا بحضور مراقبين من مصر وتونس وقرأ "الفضيل بوعمر" شروط المجاهدين على الحاضرين ثم تم تسليمها إلى "بادوليو"، ومن أهم هذه الشروط: أن لا تتدخل الحكومة الإيطالية في أمور الدين الإسلامي وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية معترفا بها في دواوين الحكومة وأن تفتح مدارس عربية تدرس فيها علوم الدين والعلوم الأخرى وأن يلغى القانون الذي وضعته إيطاليا والذي ينص على عدم المساواة في الحقوق بين الوطني والإيطالي إلا إذا تحصل على الجنسية الإيطالية وأن يعطي المجاهدون الحرية في حمل السلاح وجلبه من الخارج وأن يكون لليبيين رئيسا منهم وإعلان العفو الشامل على من عدتهم إيطاليا مجرمين سياسيين وإطلاق سراح السجناء[2]، واقترح "بادوليو" هدنة لمدة شهرين ووافق "المختار" وانتهى الإجتماع بأخذ صورة تذكارية[3].

كما حصل إجتماع آخر في "سيدي رافع" وفيه قال المندوب الإيطالي إن الاتفاق النهائي لا يكون إلا في مدينة بنغازي[4]، فكلف "عمر المختار" "الحسن الرضا" أن ينوب عنه في اجتماع بنغازي لكون الإيطاليين كانوا يتهمون الشيخ بتعطيل هذه الاجتماعات وإفشالها، وبذلك فقد نجحت إيطاليا عن طريق عملائها من الليبيين في اقناع "الحسن الرضا السنوسي" بالتوقيع على شروط مجحفة غير التي تم الاتفاق عليها في سيدي رحومة رفضها الشيخ "عمر المختار" وكذلك المجاهدون، وقد كتب "عمر المختار" إلى "سيشلياني" نائب الوالي في بنغازي يخبره بهذا الرفض ويلفت نظره إلى الشروط السابقة التي تسلمها "بادوليو" شخصيا من "عمر المختار"، وبذلك نجحت

1- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 551-552.

2- محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، المرجع السابق، ص 108. محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 443.

3- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 19.

4- عقيل محمد البربار، عمر المختار نشأته وجهاده، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، جامعة قاريونس، كلية الآداب والتربية، طرابلس، 1981م، ص 52.

القوات الإيطالية في شق وحدة المجاهدين في الجبل الأخضر لكون أن "حسن الرضا "شعر أن الشيخ لم ينزله منزله فانفصل بجماعته وكون معسكرا جنوب مراوة مواليا لإيطاليا وكان معسكره غير بعيد عن مراكز القوات الإيطالية[1]. أما الفريق الآخر بقيادة "عمر المختار" فقد رفض الشروط التي أتى بها "الحسن الرضا" واستمروا في الجهاد، إلا أنه سرعان ما نقضت إيطاليا اتفاقياتها ووعودها وألقت القبض على "الحسن الرضا "ونفته إلى جزيرة أوستيكا سنة 1930م ثم إلى فلورنسا وظل منفيا حتى توفي فيها في 1936م.

نتيجة لهذه الأحداث اندلعت معارك بين المجاهدين والقوات الإيطالية في الجبل الأخضر وقامت الطائرات الإيطالية بإلقاء قذائفها على معسكرات المجاهدين وقد هاجموا دور المجاهدين في وادي بهجة في 28 يناير 1930م حتى أقفلت جميع المسالك والطرقات[2].

5- إستراتيجية غراتسياني في مواجهة المقاومة الليبية:

مع مطلع 1930م تم تعيين "رودلفو غراتسياني" نائب للحاكم العام "بادوليو" وهو أكثر الجنرالات وحشية ومن بين أشد الإيطاليين حقدا على الإسلام والمسلمين فقد ارتكب أعمالا عسكرية شنيعة وقضى على حركة الجهاد في فزان وذلك في 1930/02/25م، وعليه وبعد تسلمه إدارة شؤون ليبيا مباشرة، بدأ يضع خطته الحربية للقضاء على حركة المقاومة فأصدر جملة من التعليمات المتضمنة لهذه الخطة والتي تمثلت في:

1- تصفية حقيقية لكل العلاقات بين الخاضعين وغير الخاضعين من الثوار سواء في قاعدة العلاقات الشخصية أو الأعمال والحركات التجارية.
2- إعطاء الخاضعين أمنا وحماية مع المراقبة التامة، والشاملة لكل نشاطاتهم.
3- عزل الخاضعين عن أي تأثير سنوسي،ومنع أي كائن منعا باتا من قبض أي مبالغ من الأعشار والزكاة.
4- مراقبة مستمرة ودقيقة في الأسواق وقفل الحدود المصرية بكل صرامة.
5- حركة دقيقة وخفية لكل قواتنا المسلحة في المنطقة لخلق جو متذبذب ضد كل الأدوار والمعسكرات والضغط عليها حتى تتكبد الخسائر وتشعر بأن قواتنا موجودة دائما وفي كل مكان مستعدة للهجوم.
6- الاتجاه السريع للاحتلال الكامل لكل أراضي مستعمرة الكفرة[3].

1- محمد الطيب الأشهب، المرجع السابق، ص 300.
2- نفسه، ص 304.
3- عز الدين إسماعيل وآخرون، المرجع السابق، ص ص 84-85.

وبذلك فقد أوجدت إيطاليا جزار ليبيا ليقوم بتنفيذ خطة إبادة لم يسبق لها مثيل في التاريخ وتطبيقه لتهديدات أسياده في روما الكاثوليكية الفاشستية وقد أعلن ذلك بكل وضوح[3]، ولقد عرف الجنرال "غراسياني" بالعجرفة والجبروت لذلك كان أول عمل قام به في الدوائر المدنية بعد وصوله واستبداله للموظفين الإيطاليين بآخرين ممن يتمتعون بثقته.

بالنظر إلى الوضع العسكري في هذه الفترة فإنه كان في صالح المجاهدين الليبيين فقد كانوا يسيطرون على كثير من المدن بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى ولكن إيطاليا نجحت في إشغال الليبيين والمجاهدين بالمفاوضات كسياسة اعتمدتها لكسب الوقت وإعادة تكتيكها العسكري، فقد دخلت في مفاوضات مع الأمير "إدريس السنوسي"، وهي تضمر الخيانة ولكن عملت على تأجيلها وكذلك عام 1927م سعت إلى التفاوض مع أسد الصحراء "عمر المختار" وذلك بعد عجزها عن السيطرة عليه عسكريا، لذلك عملت على بث الصراعات بين الزعماء لتصرف جزء كبيرا من قوتهم العسكرية في صراعات محلية.

3–محمود شلبي، حياة عمر المختار، دار الجيل، بيروت، 1989م، ص126.

الفصل الثاني

السياسة الإيطالية بين الحربين العالميتين في ليبيا

المبحث الأول: سياسة التضييق على المقاومة

المبحث الثاني: سياسة النفي إلى سجون الجزر الإيطالية

المبحث الأول: سياسة التضييق على المقاومة

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى شعرت إيطاليا بقوة مضاعفة وخاصة بعد تولي الحزب الفاشي الحكم في إيطاليا[1]، والذي اعتمد سياسة العنف والبطش محاولا القضاء على حركة عمر المختار في الجبل الأخضر بالدرجة الأولى واعتمادا على بعض الإجراءات كإقامة معتقلات جماعية لسكان الجبل الأخضر ومحاولة منع الإمدادات التي كانت تصل إلى المجاهدين ووضع الأسلاك الشائكة على الحدود مع مصر لمنع أي مساعدات خارجية للمجاهدين وهذا ما سنتحدث عنه في هذا المبحث اضافة إلى سياسة النفي الى سجون الجزر الايطالية كاجراء وذلك لتحميل المقاومة على الاستسلام.

تميز عمر المختار بشجاعة لا مثيل لها وهو يقود حركة الجهاد في برقة[2]، كما أنه بذل جهدا كبيرا وقد شهد له بذلك غراتسياني عدوه اللدود بالرغم من المشاكل العديدة التي واجهته كقلة المؤن وتوقف المساعدات التي كانت تقدمها الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، مما جعل المجاهدون يعتمدون على أنفسهم في تدبر أمورهم ومواصلة حربهم مع العدو.

1-إستراتيجية "غراتسياني" الإستعمارية في ليبيا:

وبوصول الحزب الفاشي إلى السلطة أول ما قام به ""موسوليني"[3] إلغاء الاتفاقيات التي كان قد تم عقدها مع الأمير "السنوسي" في مايو 1923م وخلال، وقرر "موسوليني" القضاء على ليبيا وإضعافها بكل الوسائل المتاحة أبرزها: قيادة حملات شرسة باستخدام الجيوش والمرتزقة من ارتيريا والمجتدين الليبيين فقد وفرت لهم أحدث الأسلحة والطائرات للتوغل في أعماق الصحراء[4]، وفي 11 يناير سنة 1930م تم تعيين "غراتسياني" كنائب للحاكم الإيطالي في ليبيا، ووكلت إليه مهمة الفتك بالمجاهدين في الجبل الأخضر، كما أنه استطاع الحصول على تصريح من السلطات الإيطالية تبيح له استخدام شتى الوسائل للقضاء على المقاومة في الجبل الأخضر[5].

1- إبراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، ج1، برنيق للطباعة والترجمة والنشر، ط1، 2008م، ص 125.

2- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 386.

3- موسوليني بنيو (1883-1945م): كان رئيس وزراء إيطاليا اشتراكي من الطبقة العاملة، عمل في حقل التدريس سجن لنشاطه الاشتراكي عام 1908م وأصبح رئيسا لتحرير (أفانتي) أي الطليعة. انظر: عبد الوهاب الكيلاني، الموسوعة السياسية، ج6، دار الهدى، بيروت، ص 470.

4- بروشين، المرجع السابق، ص 220.

5- شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 388.

وقد تميز "غراتسياني" بالقسوة والعنف والخبرة العسكرية الطويلة التي جعلت منه قائدا محنكا، فقد قاد عمليات عنيفة في إقليم طرابلس مليئة بالصفحات السوداء أنهى من خلالها المقاومة في فزان ثم تحول إلى برقة لكي ينهي تاريخ هذه المقاومة معتمدا سياسة "فولبي Volpi" منذ سنة1929م[1] التي تقضي بالإبادة ضد من سماهم بالمتمردين.

وصل "غراتسياني" إلى برقة في 27 مارس 1930م[2] كانت المقاومة شديدة وقوية، وبدأ في تنفيذ سياسته القمعية، فاستهلها بغلق الزوايا السنوسية ونفى شيوخها مع مصادرة الممتلكات وشكل المحاكم الطائرة التي كانت تنتقل من مكان إلى آخر لمحاكمة المواطنين الليبيين من دون ذنب وتنفيذ الأحكام الظالمة في حقهم كالإعدام والنفي أو السجن المؤبد عن تهم واهية تمثلت في الانتماء إلى العصابات المسلحة (المجاهدين) أو التواطئ معهم.

وبالعودة إلى "غراتسياني" فكان قد شرع في بناء قوة عسكرية مكونة من ثلاثة عشر ألف رجل منهم تسعة آلاف عسكري من الارتيرين وحوالي ستة وثلاثون طائرة لمطاردة المتمردين كما تم وصفهم[3].

وهي قوة استخدمها "غراتسياني" للقضاء على "عمر المختار" بالدرجة الأولى ولكن طبيعة الأرض الجبلية لم تكن لصالحه والأساليب الحربية الحديثة التي استخدمها المجاهدين أدت إلى فشل القوات الإيطالية الذريع في تحقيق ما تصبوا إليه، إضافة إلى الدعم المادي والمعنوي الذي تلقاه المجاهدون عبر الحدود المصرية وكذلك من بعض الأهالي المستسلمين للحكومة الإيطالية، فقد ثبت أن أسلحة المجاهدين كانت إيطالية الصنع فقد كانوا يحصلون عليها كغنائم خلال المعارك أو ما يصلهم عن طريق أقربائهم الخاضعين للسلطات الإيطالية، كما توصلت المخابرات الإيطالية أن المجندين الليبيين بالجيش الإيطالي كانوا يتعاطفون مع المجاهدين ويمدوهم بالأسلحة[4]، فقام غراتسياني يجمع حوالي ثلاثة آلاف ومئة وخمسة وسبعون بندقية وستون خرطوشة ممن كانوا يخضعون للسلطات الإيطالية، كما تم تسريح المجندين الليبيين الذين كانوا ضمن الجيش الإيطالي، فتقلص الجيش الإيطالي إلى تسعمائة

1- رفعت عبد العزيز، التضييق على عمر المختار، مجلة الوثائق والمخطوطات، السنة الأولى، العدد الأول، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1986م، ص 41.

2- رودلفو غراتسياني، برقة الهادئة، المرجع السابق، ص 77.

3- أنزو سانتاريللي وآخرون، ت: عبد الرحمن سالم العجيلي، عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص 112.

4- رودلفو غراتسياني، برقة الهادئة، ص 93-94.

مجند، وتم تغيير نوع السلاح حتى لا يستفيد المجندون من ذلك[1]. ومع ذلك واصل المجاهدون القتال بكل شجاعة وبسالة بكل ما يملكون وما يصلهم من إمدادات مصرية، الأمر الذي جعل السلطات الإيطالية تفكر في سياسة جديدة تقضي على "عمر المختار"، فرأى "بادوليو Badoglio" الحاكم العام لليبيا بضرورة سجن سكان الجبل الأخضر في معتقلات جماعية تمنعهم من التواصل مع المجاهدين، ورغم ذلك استمرت المقاومة، وحاولت إيطاليا اتخاذ خطوات جديدة كمد الأسلاك الشائكة على الحدود المصرية الليبية[2].

2-إغلاق الزوايا:

قامت السلطات بإغلاق الزوايا ومصادرة أملاكها لدورها البارز في دعم المجاهدين ماديا ومعنويا، ولتوفرها على موارد مالية كبيرة، فكانت تنفق بعض هذه الأموال على احتياجاتها والبعض الآخر لدعم المجاهدين، وقد امتلكت هذه الزوايا أراضي كثيرة وصلت إلى حوالي نصف مليون هكتار جزء منها مخصص للزراعة والباقي للرعي، ونظرا لما كانت تقدمه هذه الزوايا لدعم المجاهدين فقد أقدم "غراتسياني" بعد موافقة "بادوليو" على نزع ملكية الزوايا[3].

وفي 29 ماي 1930م اقتحمت القوات الإيطالية مقار الزوايا السنوسية الواقعة في إقليم برقة، وكان عددها تسعة وأربعون زاوية، وواحدة في الجغبوب وهي الزاوية الوحيدة التي استثنتها العملية العسكرية لمكانتها في العالم الإسلامي.

وتم اعتقال واحد وثلاثون شيخا من شيوخ هذه الزوايا وتم سجنهم في معسكر بالقرب من جنوب بنغازي ثم نفيهم في 28 سبتمبر 1930م إلى جزيرة أوستيكا، وبرر "غراتسياني" هذه الأفعال بأنهم أصبحوا أحرارا وأنهم غير ملزمين بدفع الزكاة[4]، وكان لهذا الأمر أثرا بالغا في نفس "عمر المختار" لحرمانه من الدعم الذي كان يتلقاه من

1- أنزو سانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص 127. خليفة النلبسي، المرجع السابق، ص 88.

2- الطاهر أحمد الزاوي، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، ط2، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004م، ص 101.

3- أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، دار لبنان، بيروت، 1967م، ص 242. رودولفو غراتسياني، برقة الهادئة، المرجع السابق، ص 136.

4- غراتسياني، المرجع السابق، ص 134.

الزوايا السنوسية لما كانت تملكه من موارد اقتصادية، هذا إضافة إلى الدعم المعنوي فقد كانت توفر المعلومات للمجاهدين وتحرض الناس على الجهاد.

3- حشر أهالي برقة في المعتقلات الجماعية:

وكإجراء جديد اعتمدته السياسة الإيطالية تمثل في حشر أهالي برقة في المعتقلات الجماعية، فمنذ تولي الحزب الفاشي السياسة في إيطاليا سنة 1922م ألغى العمل بكل الاتفاقيات التي عقدت مع المجاهدين والتي من خلالها استطاع الإيطاليون الحصول على معلومات هامة عن تنظيم الأدوار وتمويلها، فبعد خروج الدولة العثمانية من ميدان القتال في ليبيا، تولى الليبيون أمور القيادة والتمويل بأنفسهم والتي كانت مصادرها من الزكاة التي كانت تؤخذ من المواطنين وفق ما ينص عليه الشرع وكان المجاهدون ينظمون القوافل لجلب القمح والشعير والزيوت عن كل قبيلة، وكانت الزكاة في برقة تجمع من مختلف المناطق بما فيها المناطق الخاضعة للحكم الإيطالي كبنغازي وطبرق وغيرها رغم مراقبة السلطات الإيطالية وتنفيذ العقوبة في حق كل من قدم المساعدة والتي تصل إلى حد الإعدام، وقد أكد ذلك "غراتسياني" عند قوله: "عندما عجزت مخابراتنا عن اكتشاف المفسدين، ففرضنا عقوبة الإعدام على كل من يساهم من المواطنين في تمويل المجاهدين"[1].

كذلك مثلت الغنائم مصدرا آخرا للمجاهدين، فكثيرا ما كانت هجومات المجاهدين تتوج بالفوز بغنائم نفيسة من أسلحة وذخائر، كما كان المواطنين الخاضعين للحكومة الإيطالية دورا كبيرا في تزويد المجاهدين بما يحتاجونه من مؤن وسلاح ومعلومات إلى قبائل البدو الرحل، فكثيرا ما كانوا مصدرا مربحا يمدون المجاهدين بالمقاتلين فعقب كل معركة يسقط فيها مجموعة من الشهداء تعوض القبائل ببديل وفقا لنظام الأدوار الذي أنشأه "عمر المختار"، وبالتالي أطال ذلك مدة الحرب مما كلف السلطات الإيطالية في 1915م نصف ميزانيتها، وبدأت التكاليف في تزايد مع تزايد المقاومة الداخلية، فقد كان الليبيون وحدة واحدة في الجهاد حتى أن الإيطاليين أنفسهم اعترفوا بأنهم لا يقاتلون جيشا بل هم يقاتلون شعبا كاملا[2]، وبالرغم من كل الضغوطات التي مارسها "غراتسياني" على الأهالي الخاضعين للحكومة الإيطالية كتنفيذ حوالي مئتين وخمسين حكما بالإعدام من أصل خمسمائة وعشرون قضية إلا أن المجاهدين استطاعوا الصمود في وجه العدو لأكثر من عشرين عاما وبأقل

1- غراتسياني، المرجع السابق، ص 140.

2- نفسه، ص 158.

الامكانيات وعندما فشلت إيطاليا في إخضاع المجاهدين خاصة من 1930م إلى 1931م[1] تحدثت عنها الصحافة بكل تجريح ونقد لاذع وكتبت: "كيف لجيش عظيم وحديث الوسائل العجز على القضاء على شراذم من البدو الأميين"، لذلك توصل "موسوليني" إلى فكرة وضع أهالي برقة في معتقلات لقطع المؤن التي تصل إلى المجاهدين عن طريقهم.

في الواقع أن فكرة إنشاء المعتقلات لم تكن جديدة على الساسة الإيطاليين فقد طبقتها إيطاليا خلال وجودها في الصومال وعند احتلالها للمدن الليبية أخضعتها للمراقبة ولا يتم الدخول والخروج إلا بموافقتها[2]. كما عمل الإيطاليون على ترميم أسوار قديمة وأحاطوها بالأسلاك الشائكة، فمثلا رمموا أسوار مدينة بنغازي وأحيطت بالأسلاك الشائكة وحفرت حولها الخنادق وزودت بابراج المراقبة[3]، وكذلك رمم سور طرابلس وسور مدينة درنة وغيرها من الأسوار الأخرى، وأقامت داخل هذه المدن الجنود الإيطاليين فأصبحت المعالم الإسلامية مهددة[4]، وانطبق الأمر نفسه على بعض القرى الصغيرة التي أحيطت بالأسلاك الشائكة، فأجبر الرعاة والفلاحون على العودة بقطعانهم عقب الصلاة مما أضر كثيرا بمواشيهم وتسبب في هلاكها[5]. ولقد تطورت فكرة تحديد إقامة المواطنين تطورا مضطردا خاصة مع قدوم "غراتسياني" إلى ليبيا والذي عمل بتكليف من "موسوليني" على نقل سكان البطنان والجبل الأخضر إلى مناطق صحراوية في صحراء سرت حتى يقطع الامدادات التي كانت تصل إلى "عمر المختار".

4-مراكز التجميع المؤقتة:

كما ظهرت مراكز جديدة أطلق عليها مراكز التجميع المؤقتة لا تختلف عن المعتقلات الأخرى إلا من حيث كونها كانت مؤقتة، وكل التصرفات فيها كانت تحت أوامر مؤقتة تشمل كل فئات الشعب، ثم بعد ذلك يتم فرز أقرباء المجاهدين وينقلون إلى المعتقل السياسي في العقيلة[6] أعد خصيصا لهم، وتم تطبيق الفكرة مع سنة

1- غراتسياني، المرجع السابق، ص 143.

2- James Walston, History and memory of the italian concentration camps, The historical journal, Vol.40, N°.1, (Mar 1997), Combridge university, Press,P 174.

3- محمد عبد السلام الشلماني، شيء عن بعض رجال عمر المختار، مطابع الثورة العربية، بنغازي، 1981م، ص 14.

4- محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، المرجع السابق، ص 130.

5- اتيليو تروتسي، برقة الخضراء، ت: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 2009م، ص 248.

6- **العقيلة:** منطقة صحراوية تقع غرب بنغازي بحوالي 285 كم وهي منطقة جرداء كثيرة الرمال، أقامت بها إيطاليا معتقل وضعت به كل من له علاقة بالمجاهدين، وهو معتقل سياسي عرف بمعقل العقوبات. انظر: التليسي، المرجع السابق، ص 363.

1928م أين تم تجميع الأهالي على طول الشريط الساحلي قرب المواقع والمدن والاستحكامات العسكرية الإيطالية، فقد اختيرت منطقة طلميثة الواقعة على ساحل البحر الأبيض شمال المرج كمعتقل لقبائل الدرسة والبراعصة، كما تم تجميع حوالي تسعمائة خيمة من أفراد قبيلة العبيد القاطنة على الحافة الجنوبية للجبل الأخضر بمعتقل توكرة كإجراء مؤقت.

إن هذه المعتقلات المؤقتة كان الغرض منها جمع سكان المنطقة الممتدة من شرق مدينة بنغازي حتى الحدود المصرية ووضعهم في أماكن محصنة حتى يسهل الدفاع عنها ضد هجومات المجاهدين، وقد بقي الأهالي في هذه المراكز حوالي ستة أشهر ثم تم تحويلهم إلى المعتقلات الجماعية الكبرى بعد أن تم فرز أقارب المجاهدين ونقلهم عبر البحر إلى معتقل العقوبات بالعقيلة، وهذا بسبب أن المراكز المؤقتة تعرضت لغارات المجاهدين في محاولة لإنقاذ ذويهم، كما حاول الكثير من المعتقلين الهرب من هذه المعتقلات[1]، وكان رد الحكومة الإيطالية على ذلك بالانتقام من الأهالي، إضافة إلى انتشار الأمراض بسبب انعدام الرعاية الصحية والمجاعة[2]، ومع نهاية شهر يونيو أصدر بادوليو حاكم ليبيا اوامره إلى "غراتسياني" بترحيل أهالي الجبل الأخضر إلى مناطق يسهل فيها مراقبتهم واستثنى المدن الحضرية والساحلية وكان عددهم حوالي خمسون ألفا وذلك لثقة الإيطاليين بهم نظر للاحتكاك الكبير فيما بينهم (سكان هذه المدن والإيطاليين)، وبالضبط إلى معتقلات صحراء سرت وهي صحراء قاحلة يصعب فيها الفرار ولأنها مكشوفة وسهلة المراقبة إذ حاول المجاهدون الوصول إليها لتنفيذ عمليات الانقاذ.

ضمن المعتقلات الجماعية معتقل العقيلة والبريقية وسلوق والمقرون، وقد أقيم معتقل العقيلة في المنطقة التي تقع غرب مدينة أجدابيا وتبعد عن مدينة بنغازي غربا بحوالي مئتان وخمسة وثمانون كم، واعتقل بها كل الأهالي الذين لهم روابط عائلية أو مصاهرة أو مودة مع المجاهدين ونقلوا إلى هذه المنطقة البعيدة عن طريق البواخر الإيطالية بعد أن تم فرزهم خلال إقامتهم في مراكز التجميع المؤقتة، وقد مدت الحكومة الإيطالية الأسلاك الشائكة على مساحة كبيرة من الصحراء لاستقبال هؤلاء المعتقلين[3]، وكان هذا المعتقل على شكل مربع وارتفاع السياج ثلاثة أمتار، واختارت هذا المكان ليسهل مراقبته وفي نفس الوقت تكون عملية الهروب صعبة، وتولى إدارة

1- يوسف سالم البرغيثي، حركة المقاومة بالجبل الأخضر (1927-1932م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م، ص 104-105.

2- محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 137.

3- محمد الطيب الأشهب، المرجع السابق، ص 128.

هذا المعتقل الملازم "كسوني"[1] يساعده مجموعة من الجيش مهمتهم حفظ النظام داخل المعتقل، إلى جانب معتقل سلوق الذي يقع جنوب بنغازي حوالي ستون كم، وهو من أكبر المعتقلات من حيث المساحة ويضم حوالي عشرون ألف ومئة وأربعة وثلاثون ألفا من قبائل العبيد والعرفة والعواقير والفواخر والمغاربة، وقد شهد هذا المعتقل إعدام شيخ الشهداء "عمر المختار" أمام أنظار حشد كبير من الأهالي في 1931/09/16م.

وآخر المعتقلات الجماعية في صحراء سرت هو معتقل المقرون[2]، وقد ضم حوالي ثلاثة عشر ألف من قبائل الدرسة والبراعصة وبعض قبائل الجبل الأخضر، وتقع المنطقة إلى الجنوب الغربي من منطقة سلوق، ومن أشهر حكام هذا المعتقل "أولدو فجنيري" و"بروكو" و"مادونيني"، وقد اشتهر هذا المعتقل بوجود مدرسة إيطالية لتعليم الأطفال اللغة الإيطالية ومحاولة تنصيرهم.

لقد تشابهت الظروف داخل المعتقلات مع اختلاف قليل في معتقل العقيلة، وهو المعتقل السياسي الخاص بمن تربطهم علاقة بالمجاهدين، فقد كانت مقسمة إلى مربعات والمربعات إلى أشواط وكل شوط له مشرف ليبي متعاون مع الإيطاليين، وأحيطت المعتقلات بسور من الأسلاك الشائكة عرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه مترين، وكانت توجد المشنقة وسط المعتقل التي ينفذ لها أحكام الإعدام، كما أنشأت المقابر خارج المعتقلات لدفن الموتى، وقد استخدمت الحكومة الإيطالية السجناء في شق الطرق وتعبيدها وبعضهم في رعي الماشية يخرجون ويعودون تحت الحراسة، أما وجباتهم الغذائية فقد كانت قليلة ومتدنية فكان أغلبها من الشعير الأسود الذي رجح أنه كان سببا في انتشار الأمراض الذي قضت على الكثير من المعتقلين[3].

وهكذا جمع الليبيون باستثناء المجاهدين داخل معسكرات الاعتقال الجماعية في سلوق والمقرون وكذلك في معسكرات أمنية داخل المدن، وأضيف إليهم المجاهدون الذين استسلموا بعد إعدام "عمر المختار" وقد حرموا من حق العمل والدخول إلى الدوائر الإيطالية[4]. وقد أكدت المصادر التاريخية أن أكثر من نصف سكان برقة قد وضع

1- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، سيرة الزعيمين محمد إدريس السنوسي وعمر المختار، المرجع السابق، ص 151.

2- علي محمد الصلابي المرجع السابق، ص 151.

3- محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 136.

4- يوسف سالم البرغيثي، المعتقلات والأضرار الناجمة عن الغزو الإيطالي لليبيا (عمر المختار نشأته وجهاده)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1983م، ص 125.

داخل هذه المعتقلات بحيث ذكرت أنه خلال 1928م ورغم أنه ليس هناك رقم دقيق لعدد المعتقلين إلا أن أقل رقم ذكر هو ثمانين ألفا[1].

ومع نهاية عام 1932م تم الإفراج عن السجناء وإخراجهم على دفعات ومنعوا من العودة إلى أراضيهم التي استوطنتها العائلات الإيطالية، ووضع البعض منهم تحت المراقبة المؤقتة وسمح لهم بممارسة حرفة الرعي.

5-إحتلال الكفرة:

وكإجراء اعتمدت السلطات الإيطالية عرقلة مصدر أساسي لتمويل المجاهدين والذي تمثل في الواحات والتي من خلالها كانت تصل الإمدادات القادمة من مصر والسودان ولذلك سعت القوات الإيطالية إلى احتلال الواحات وفرض الحصار على "عمر المختار"، وبعد الاتفاق الذي وقع بين بريطانيا وإيطاليا في 1925/12/16م[2] قامت الحكومة الإيطالية بإعداد حملة بقيادة العقيد "ريكارد وونكتي" لاحتلال الجغبوب وتتكون من ثلاثمائة وستون سيارة وأربعة مدافع جبلية وثمانية رشاشات ودبابتين، وحوالي ألف وستمائة وخمسة وأربعون جنديا من الارتيريين وسبعمائة وواحد وثلاثون جنديا إيطاليا وواحد وتسعون ضابطا وإثني عشر طائرة للاستطلاع وإلقاء المناشير على الأهالي، ففي 07 فبراير 1926م دخلت القوات الإيطالية واحة الجغبوب دون مقاومة[3]، والتي استخدمتها كنقطة لمراقبة الحدود المصرية لمنع عمليات التهريب إلى ليبيا، وهكذا فقد المجاهدون أهم مصادر تموينهم، بالإضافة إلى كونها محطة للمؤن القادمة من مصر[4]، إلا أنه حتى بعد السقوط والسيطرة على الجغبوب استمرت قوافل الإمدادات التي كانت تصل "عمر المختار" في الجبل الأخضر عبر طريق مصر الكفرة والواحات الجنوبية.

بعدها اتجهت أنظار السلطات الإيطالية إلى بقية الواحات كجالو وأوجلة[5]، وكانت جالو هي المركز الرئيسي لهذه الواحات وكان قد اتخذها "محمد الرضا السنوسي" مقرا له (1922-1928م) عقب مغادرة أخيه الأمير "إدريس" إلى مصر، وكانت هذه الواحة هي المكان الوحيد لتصريف التجارة القادمة من مصر عبر سيوة

1- الطيب الأشهب، المرجع السابق، ص 127.
2- محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 104.
3- الطيب الأشهب، المرجع السابق، ص 98. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص 86-87.
4- ن.إ. بروتشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1929م، المرجع السابق، ص 230.
5- **أوجلة وجالو:** واحتين جنوبيتين من برقة، الأولى في 1928/02/24م، والثانية في 1928/02/25م. انظر: خليفة التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا (1911-1931م)، المرجع السابق، ص 116.

والجغبوب[1] إلى المناطق الشمالية، وقد اشتهرت كذلك بإنتاجها الوفير للتمور والتي اعتمد عليها المجاهدون اعتمادا كبيرا في غذائهم، وقد تم احتلال أوجلة لأول مرة في 24 فبراير 1928م، وجالو في 25 فبراير 1928م، وغادرت مجموعات المجاهدين هذه المناطق إلى واحة الكفرة والتي أصبحت مركزا يتجمع فيه للمجاهدون بعد سقوط مدنهم في يد الاحتلال، ومن أشهر قادة المجاهدين الذين تركزوا بها المجاهد "عبد الجليل سيف النصر"، والمجاهد "صالح الأطيوش" والمجاهد "علي العابدية" وغيرهم.

وفي 16 ماي 1930م كتب حاكم ليبيا "بادوليو" إلى وزير المستعمرات يخبره بمكانة الكفرة والتي أصبحت مركزا يتجمع فيه المجاهدون[2]، بالإضافة إلى كونها رمزا للسلطة الدينية للحركة السنوسية لوجود أكبر الزوايا السنوسية بها في واحة التاج، وأنه يحتاج إلى ستة ملايين ليرة إيطالية لإخضاع هذه الواحة، وتمهيدا لاحتلال الكفرة قامت الطائرات الإيطالية بشن غارات على واحة تازربو في يوم 1930/07/31م وألقت عليها واحد وعشرون قنبلة سامة[3]، بالإضافة إلى حوالي سبعمائة وأربعة وثمانون كيلومتر من المواد المتفجرة، وأحدثت هذه القنبلة العديد من الخسائر مما اضطر العائلات إلى مغادرة الواحة في اتجاه الكفرة.

بدأت الحكومة الإيطالية في إعداد الحملة التي دعا إليها "بادوليو" وقد استغرق إعدادها حوالي مائة يوم، حيث تم إعداد قوة من ستمائة وأربعة وخمسون إيطاليا وضباط صف وجنود، وحوالي ثلاثة آلاف وواحد وعشرون عسكريا من المرتزقة الارتيريين وحوالي ثلاثمائة وثمانية وسبعون آلية شحن وسيارة مصفحة وسبعة آلاف جمل لنقل الجنود والعتاد وثلاث مدافع وسبع رشاشات و خمسة وعشرون طائرة قاذفة للقنابل، وفي 20 ديسمبر 1930م غادرت الحملة الإيطالية متجهة إلى الكفرة، وبعد حوالي عشرون يوما وصلت الحملة إلى بئر الزيغن الذي يبعد 180مئة وثمانون كيلومتر عن الكفرة.

وفي 12 يناير تنقل "غراتسياني" من مدينة بنغازي إلى بئر الزيغن جوا ليشرف على العمليات العسكرية بنفسه[4]، وفي 19 يناير وصل الجنود الإيطاليون إلى الكفرة، وكان يتواجد بها أربعمائة مقاتل قادر على حمل السلاح إضافة إلى النساء والشيوخ والأطفال، دخلوا في قتال عنيف مع الإيطاليين استمر طيلة النهار، ثم بدأ من

1- **الجغبوب:** من المنخفضات المتميزة في الصحراء الافريقية في ليبيا، تقع في أقصى الشمال شرق صحراء ليبيا قرب الحدود المصرية. انظر: طريح عبد العزيز شرف، جغرافيا ليبيا، مطبعة المصري، الإسكندرية، 1963م، ص 139.

2- بروتشين، المرجع السابق، ص 243.

3- غراتسياني، المرجع السابق، ص 189.

4- نفسه، ص 193.

تبقى من المجاهدين على قيد الحياة في الانسحاب مع حلول الظلام، وقد تميزوا بشجاعة نادرة لا مثيل لها حتى ان "غراتسياني" اعترف بذلك حيث قال: "رغم هذا كله كانوا أشداء أقوياء صابرين لا يتقهقرون أبدا حتى ولو أدى ذلك لفنائهم جميعا"[1].

استشهد في هذه المعركة أكثر من مائة شهيد على رأسهم أحد قادة المجاهدين "عبد الحميد بومطاري"، كما وقع عدد من الأسرى في يد الإيطاليين، وأما عن الجانب الإيطالي فقد قتل بعض الضباط أمثال الملازم "هازل Hazal" والملازم "بيبيتوني"، وقد قامت القوات الإيطالية بفساد عظيم في هذه الواحة من تدمير وإحراق للنخيل وإتلاف لمكتبة الكفرة التي كانت من أكبر المكتبات الدينية في تلك الفترة، وأما من تبقى من المجاهدين حاولوا عبور الصحراء إلى السودان ومصر وتشاد وقد تاه بعضهم في الصحراء، مما جعل الطائرات الإيطالية تقوم بجولات استطلاعية لمدة ثلاث أيام بحثا عن الهاربين وتقذفهم بالقنابل في محاولة منهم لإخافتهم حتى لا يعبروا الأراضي الليبية[2]، وفي 24 يناير 1931م وصل إلى الكفرة بطريق الجو من طرابلس حاكم ليبيا "بادوليو" ومعه الدوق "آميديو" من أجل مراسم رفع العلم الإيطالي على الواحة[3].

وبذلك فقد اتخذت السلطات الفاشية الإيطالية عدة إجراءات قمعية أخرى للقضاء على حركة المقاومة في الجبل الأخضر بقيادة "عمر المختار" من بينها مدها للأسلاك الشائكة لغلق الحدود بين مصر وليبيا وكذلك لقطع الإمدادات التي كانت تصل للمجاهدين الليبيين من هناك، وعلى الرغم من اعتماد السلطات الغاشية سياساتها المجحفة في حق نصف سكان برقة إلا أن المجاهدين كثفوا غاراتهم العسكرية التي أصبحت شبه انتحارية على معسكرات العدو وألحقوا به الخسائر وغنموا منه الغنائم حتى أذهل غراتسياني بصمودهم وإصرارهم على الموت إلى أن تمكنت القوات الإيطالية من القبض على قائد المقاومة وأسد الصحراء "عمر المختار" في 11 سبتمبر 1931م[4]، وتمت محاكمته محاكمة صورية أصدرت حكما بإعدامه نفذ في 16 سبتمبر 1931م بمعتقل سلوق.

1- محمود الشنيطي، قضية ليبيا، المرجع السابق، ص 119.
2- محمد أسد، الطريق إلى عمر المختار، ت: سعد العربي، ط2، مكتبة النهضة الليبية، بنغازي، 2012م، ص 74.
3- غراتسياني، المرجع السابق، ص 194.
4- محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، المرجع السابق، ص 146.

المبحث الثاني: سياسة النفي إلى سجون الجزر الإيطالية

إن ظاهرة النفي التي تعرض لها الليبيون خلال فترة الغزو الإيطالي (1911-1943م) قد انطوت على الكثير من أصناف المعاناة الحقيقية لجماعة من البشر نفوا من بلدهم وتركوا ذويهم دون ذنب اقترف إلا بسبب دفاعهم عن بلادهم ودينهم ضد عدو ادعى أنه يريد نشر الحضارة والتقدم، كما تعد هذه الظاهرة نمطا من انماط حرب الإبادة الجماعية التي تعددت أنواعها في ليبيا من قبل القوات الإيطالية من نفي واعتقالات وإعدامات جماعية وغيرها.

1-ظاهرة النفي أسبابها وتطورها:

استمرت هذه الظاهرة (النفي) طيلة الاحتلال الإيطالي (1911-1943م) وشملت كل المناطق والمدن الليبية الساحلية والجبلية والصحراوية، كما شملت كل فئات الشعب من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، فقد كانت السلطات الإيطالية كلما واجهت مقاومة عنيفة من أهل البلاد ردوا على ذلك بالتنكيل والتعذيب والنفي[1]، فعقب كل هزيمة للإيطاليين كانت سلطاتهم تقوم بعمليات نفي جماعية إلى الجزر الإيطالية من غير التفريق ما بين المدنيين والأبرياء[2]، وقد مرت عمليات النفي هذه بثلاث مراحل رئيسية.

فالمرحلة الأولى بدأت منذ الأيام الأولى للغزو وخاصة بعد معركة شارع الشط في 1911/10/23م واستمرت حتى غزوة الحدود الإيطالية خلال الحرب العالمية الأولى، وأما المرحلة الثانية فبدأت سنة 1915م بعد معركة القرضابية حتى نهاية المقاومة سنة 1932م، والمرحلة الثالثة بدأت بعد انتهاء المقاومة الليبية، واستمرت إلى قيام الحرب العالمية الثانية وخروج إيطاليا نهائيا من ليبيا.

أما عن الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة فأول سبب تمثل في الانتقام من الليبيين الذين أعلنوا الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي[3]، كما كان هذا الأخير يهدف إلى ضرب الروح المعنوية والعسكرية للمجاهدين الليبيين، وحتى يتفادى ردود الفعل الدولية على المجازر التي كانت إيطاليا ترتكبها في حق الليبيين.

1- نيقولا زيادة، برقة الدولة العربية الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت، 1950م، ص 66.

2- أحمد عطية مدلل، التدخل الأجنبي في ليبيا (1881-1915م)، ج2، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007م، ص 821.

3- هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر، أو التمدين بالحديد والنار من صفحات الاستعمار الإيطالي في ليبيا، ط2، القاهرة، 1948م، ص 21.

فعمليات النفي حدثت بموافقة السلطات العليا في إيطاليا، فعند الساعة 16:45 من يوم 24 أكتوبر 1911م وصلت برقية من رئيس وزراء إيطاليا إلى الجنرال "كانيفا"[1] قائد القوات العسكرية الإيطالية في ليبيا، وقد أورد "جيوليتي"[2] فيها يطلب منه ارسال الثوار المقبوض عليهم إلى جزر "تريميتي Tremiti" في البحر الأدرياتيكي ليسجنوا مع المجرمين الإيطاليين وأوضح أن الجزيرة تستطيع أن تستقبل أكثر من أربعمائة معتقل، ولم تمض حتى ثلاث ساعات حتى أرسل "جيوليتي" برقية ثانية يؤكد فيها أنهم يمكنهم نفي أي عدد من الليبيين إلى هذه الجزيرة ولو كانوا عشرات الآلاف.

لقد ارتبطت ظاهرة النفي ارتباطا مباشرا بحركة المقاومة المسلحة في ليبيا، فإن كانت عمليات القتل والتنكيل كردة فعل مباشر عن الهزائم التي تعرضت لها إيطاليا، فإن عملية النفي كانت جزء مكملا لعمليات القتل التي نفذها الإيطاليون في حق قوات المجاهدين[3]، فعقب معركة المنشية في 23 أكتوبر 1911م، والتي منيت فيها القوات الإيطالية بهزيمة شنعاء على يد المجاهدين، حيث قتل من الإيطاليين حوالي ثلاثمائة وثمانية وسبعون قتيلا ومئة وخمسة وعشرون جريحا وفي المقابل واجه الإيطاليون هذه المقاومة بالبطش والتنكيل حتى وصل عدد الشهداء في هذا اليوم إلى أربعة آلاف شهيد[4]، كما تم نفي خمسمائة وخمسة وتسعون مواطنا ليبيا إلى الجزر الإيطالية في 1911/10/26م، أي بعد ثلاثة أيام من المعركة السابق ذكرها[5]. كما حدثت عمليات نفي جماعي بعد معركة جولياتة الواقعة في مدينة بنغازي واستمرت لمدة يومين (19-20 أكتوبر 1911م)[6] والتي انتهت بسقوط المدينة في يد المستعمر وأسر أربعمائة ما بين عرب وأتراك ثم نفيهم إلى نابولي Napoli في 1911/10/24م، وتكرر

1- **الجنرال كارلو كانيفا:** قائد الحملة الإيطالية على طرابلس والمسؤول عن المجازر والجرائم بعد معركة شارع الشط بطرابلس في أكتوبر 1911م، قاد العمليات في غزو ليبيا وضد المقاومة الليبية بزعامة عمر المختار. متاح على الموقع الالكتروني: www.marefa.org، شوهد يوم: 2018/04/12م.

2- **جيوليتي:** سياسي إيطالي (1842-1928م)، تولى رئاسة الوزراء في إيطاليا خمس مرات، أعلن الحرب على الإمبراطورية العثمانية بهدف غزو ايلة طرابلس الغرب. انظر: عصام عبد الفتاح،أطلس الحربين العالميتين، الأرض والحرب والسلام، متاح على الموقع الإلكتروني: www.almanhal.com، تاريخ الزيارة 2018/04/16.

3- أحمد عطية مدلل، المرجع السابق، ص 822.

4- هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر، المرجع السابق، ص 40.

5- مصطفى حامد رحومة، التضامن العربي الإسلامي مع المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي (1911-1931م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م، ص 136.

6- مصطفى حامد رحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص 212.

الأمر كذلك بعد معركة القرضابية سنة 1915م، فبعد تعرض القوات الإيطالية إلى الهزيمة النكراء من طرف المجاهدين قام العميد "مياني" بعمليات قتل واسعة ضد أهل ليبيا كردة فعل ضد المدنيين، صدرت أوامر باعتقالات واسعة خاصة فئة الزعماء الذين يؤثرون ويحرضون على الثورة ضد الإيطاليون، ونفي المدنيين، وفي 12 يونيو 1911م أبحرت الباخرة "الملك أمبرتو" باتجاه جزيرة أوستيكا كان على متنها سبعمائة وثمانية وسبعون مواطنا ليبيا كان من بينهم الجرحى والمرضى[1].

وبالعودة إلى الأسباب الأخرى لظاهرة النفي هو تحجج السلطات الإيطالية بدواعي أمنية بمعنى أن هؤلاء الأشخاص يشكلون خطرا على الوجود الإيطالي في ليبيا ولكن بالعودة إلى حقائق الأمور فقد نجد أن العدد الكبير من المنفيين يعجزون عن القتال كالنساء والأطفال فقد تم ترحيل أكثر من ثلاثة آلاف طفل وامرأة إلى إيطاليا لأنهم تشردوا بعد فقدانهم لذويهم لما يشكلونه من أخطار على الصحة والأمن، فالهدف الأساسي من كل هذا هو افراغ البلاد من أهاليها وإسكان الأسر الإيطالية مكانهم[2]، وضم ليبيا إلى إيطاليا حتى تسهل نشر الثقافة الإيطالية والقضاء على الثقافة الإسلامية، وهذا ما يفسر استمرار عمليات النفي حتى بعد انتهاء المقاومة عام 1931م، كما هدفت إيطاليا من وراء عملية النفي ضرب الروح المعنوية للمجاهدين[3] وإرغامهم على الاستسلام وذلك بنفي أزواجهم وعائلاتهم إلى الجزر الإيطالية لأنهم كانوا الداعم الحقيقي لحركة الجهاد والتي توفر المؤن والأموال للمجاهدين.

ومن الأسباب المهمة كذلك التي دفعت الإيطاليين إلى عمليات النفي هي خوفها من أن ينقلب عليها العالم نتيجة المذابح والمجازر التي ارتكبتها في حق الليبيين الذي اتهمتهم بالخيانة، وخاصة بعدما تحرك العالم وبدأت الصحافة في انتقاد السياسة الإيطالية[4]، ولهذا حاولت إيطاليا التوجه لسياسة جديدة وهي النفي، فقد ورد في برقية

1- أنجيلو ديل بوكا، على مقربة من المشنقة محمد فكيني والاستعمار الإيطالي، منشورات ميلالي للترجمة العربية، فرنسا، 2007م، ص 29.

2- بشير السعداوي، فظائع الاستعمار الإيطالي الفاشستي في طرابلس، برقة، جمعية الدفاع عن طرابلس، برقة، ص 20.

3- محمد علي داهش، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م، ص 116.

4- أنجيلو ديل بوكا، المرجع السابق، ص ص 28-29.

برقية رئيس الوزراء "جيوليتي "التي وجهها إلى "كانيفا" ما يشير إلى ذلك، فقال: "بالنسبة للمتمردين المعتقلين يجب ألا يتم إعدامهم هناك (في ليبيا) سأرسلهم إلى جزر تريميتي في بحر الأدرياتيك ..."[1].

ففي هذه الفترة زار ليبيا عدد كبير من الصحفيين الإيطاليين والأجانب أمثال "ج.ف. ابوت Abbott" الذي دخل ليبيا 1911/11/26م ونشر عمله في كتاب بعنوان "الحرب المقدسة"، وكذلك "فرانسيس ماكولا"[2]، والذين عملوا على تقديم المعلومات الدقيقة عما كان يجري في ليبيا، فكان لهم الدور الكبير في الكشف عن المآسي التي عانى منها الليبيون، كما كتب عما قام به الجيش الإيطالي من جرائم بعد معركة شارع الشط فقال: "لقد ترك يوم السادس والعشرين أكتوبر في نفسي انطباعا سيئا ومروعا في نفس الوقت قررت بأني لا أستطيع البقاء مع جيش تعمد القتل على نطاق واسع ..."[3]، وقمت بإرجاع أوراقي الخاصة كمراسل صحفي إلى الجنرال "كانيفا" ... وكتبت له رسالة عنيفة ذكرت له فيها بأنني أرفض البقاء مع جيش ليس بجيش وكلته عصابة من القتلة المجرمين ..."[4]، وحتى الصحافة الإيطالية تحدثت عن بعض المآسي فوصفت إحدى الصحف الإيطالية "لافولا LaFolla" الجنرال "كانيفا" "بجنكيز خان" حين اعتبر دفاع الليبيين عن وطنهم خيانة عظمى[5].

وبتناقل الأخبار التي كتبها الصحفيون فقدت الحكومة الإيطالية صوابها، فقام الجنرال "كانيفا "بطرد الصحفيين الذين كتبوا ضد إيطاليا وبعد عودتهم بدأوا حملة معادية لإيطاليا بعقد اجتماعات وكتابات شديدة اللهجة في صحفهم وتوزيعها في أنحاء العالم[6]، فولد هذا ضغطا كبيرا لدى السلطات الإيطالية مما جعلها تمنع تنفيذ عمليات الإعدام في ليبيا والقيام بعمليات النفي إلى الجزر الإيطالية كوسيلة لإيهام الرأي العام، وفي الحقيقة فقد كانت عمليات النفي هذه عشوائية حدثت بسرعة وبدون الخضوع لأي توثيق خاص بأسماء المنفيين وألقابهم والأماكن التي قدموا منها فأصبح من الصعب التكهن بالأعداد الهائلة التي تم نفيها، فكانوا يحشرون داخل أقبية مظلمة وعديمة التهوية على سفن تقوم برحلات طويلة، فكان من بينهم جرحى يموتون تأثرا بجروحهم ويموت

1- المرجع السابق، ص 29.

2- **فرانسيس ماكولا:** صحفي إنجليزي رافق الحملة الإيطالية لجريدة العالم الجديد وله كتب عديدة منها: "حرب إيطاليا من أجل الصحراء"، و"الغزاة".

3- فرانسيس ماكولا، حرب إيطاليا من أجل الصحراء – مشاهدات المراسل الحربي البريطاني مع الإيطاليين في طرابلس، ت: عبد المولى صالح الحرير، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م، ص 399.

4- نفسه، ص 400.

5- نفسه، ص 396.

6- هيئة تحرير ليبيا، المرجع السابق، ص 39-40.

الآخرين بسبب الاختناق، فيطلب الأطباء العسكريون من بعض العساكر رمي الجثث في قاع البحر، كذلك يتم رمي الجرحى الذين يحتاجون للعلاج الطويل، وبالتالي فإن هؤلاء الذين ألقوا في البحر لم يذكر عنهم شيئا لأنها لم تدون أي بيانات عنهم[1].

في الواقع لقد كانت ظاهرة النفي تقتصر على المدن الساحلية في بادئ الأمر والتي دامت عاما كاملا، ثم تطورت العملية فيما بعد لتشمل المناطق الداخلية بعد كل تقدم كانت تحققه القوات الإيطالية، وعلى إثر الهزائم التي تعرض لها الإيطاليون خلال سنتي 1914 و1915م وانسحابهم نحو الساحل قاموا بعمليات نفي جماعية لسكان ليبيا من دون تحديد العدد الصحيح لهؤلاء المنفيين[2]، كما لوحظ أيضا اختلاف الأرقام داخل السجون فعلى سبيل المثال بعد أحداث 23 أكتوبر 1911م تم نفي ألف وثلاثمائة وسبعة وستون شخصا إلى جزر ترميتي ثم تناقص إلى ألف وتسعة في شهر فبراير سنة 1912م وربما السبب راجع إلى الوفيات[3]، وبالبحث في الوثائق الإيطالية لم تدون فيها العدد النهائي للمنفيين، إلا أن ما تأكد في الوثائق نفسها أن ظاهرة النفي بدأت منذ الأيام الأولى للغزو الإيطالي على ليبيا وتواصلت إلى غاية خروج إيطاليا من ليبيا سنة 1942م، ومن المؤكد أيضا أن الإيطاليين مارسوا هذه العملية بكل وحشية[4] ، وهكذا من خلال هذه الوثائق نلاحظ أن السلطات الإيطالية بذلت مجهودات لتتخلص من الليبيين بشتى الطرق.

2- أهم الجزر الليبية التي نفي إليها الليبيون:

لقد تم نفي الليبيين إلى جزر كثيرة وصل عددها إلى ستة وعشرون جزيرة منها ، بونزا، ترامبتي، سيتشيليا، اوستيكا، وميلانو، وأغلب التقارير تؤكد أن هذه الجزر يجمعها قاسم مشترك تمثل في سوئها أي أنها لم تكن صالحة ولا مستعدة لإيواء هؤلاء السجناء[5]، فكانت تفتقر إلى أبسط ضروريات الحياة كالحجرات والأغطية والأسرة

1- إبراهيم النعاجي، في ذكرى نفي الليبيين إلى الجزر الإيطالية، دنيا الوطن (صحيفة إلكترونية)، فلسطين، 2008/10/25م، ص 03.

2- إيناس المنصوري، قراءة في رسائل المنفيين الليبيين من الاستعمار الإيطالي، ت: المهدي يوسف كاجيجي، متاح على الموقع: historyliby.blogspot.com، 2018/04/18م.

3- أنجيلو ديل بوكا، المرجع السابق، ص 56.

4- نور غريب، قصة المقاومة الليبية على لسان مؤرخ إيطالي شهير، هيئة علماء المسلمين في العراق (الهيئات)، جريدة رسمية، اصدار ثالث، بغداد، 2007/03/12، د.ص.

5- إيناس المنصوري، قراءة في رسائل المنفيين الليبيين زمن الاستعمار الإيطالي، ت: يوسف كاجيجي، مرجع سابق، متاح على الموقع: historylibya.blogspot.com، تاريخ الزيارة: 2018/04/18م.

ودورات المياه، والمياه الصالحة للشرب بالإضافة إلى صعوبة المناخ الذي لم يتعود عليه هؤلاء السجناء، خاصة أنهم تعودوا على المناخ الحار (مناخ صحراوي)، فقد كانت هذه الجزر شديدة البرودة والرطوبة، وبعضها الآخر كانت وعرة وشديدة الانحدار نحو البحر الذي تتلاطم أمواجه بشدة مما ترك آثارا سلبية في نفوس السجناء البدو الذين اعتادوا الصحراء الشاسعة[1]،الهدوء والاستقرار.

تعد جزر تريميتي في البحر الادرياتيكي من أولى الجزر التي استقبلت الليبيين، كانت جزر منعزلة وتفتقر لأبسط مقومات الحياة، ومع هذا كان يتم النفي إليها بأعداد هائلة مما جعلها غير قادرة على استيعاب هذا الكم الهائل من المنفيين[2]، فقد استقبلت خمسمائة وخمسة وتسعون شخصا في أفواج أولى في 1911/10/26م ثم استقبلت دفعة أخرى عدد أفرادها مئتان واثنان وسبعون شخصا وتم حشرهم في مغارة مفتوحة على البحر كإجراء صحي، فقد أشارت التقارير الصحية إلى ارتفاع عدد الوفيات في سجون تريميتي فقد وصل عدد الموتى إلى مئة واثنان وخمسون شخصا في 1911/02/23م، وهذا كله يرجع إلى السبب الرئيسي والمتمثل في المناخ القاسي الذي عانى منه الليبيون إلى جانب انتشار بعض الأمراض الخطيرة كالكوليرا والحمى وأمراض الجهاز التنفسي الأمر الذي جعل سكان الجزر يقدمون شكوى إلى رئيس الوزراء الإيطالي "جيوليتي" يطالبونه بنقل العرب وإبعادهم لأنهم من نقل الأمراض وحتى جثتهم التي ألقيت في البحر أدت إلى تلوث المياه مما جعل عمليات الصيد تتوقف تماما.

ومن بين الجزر التي جاءت ثانيا في استقبال المنفيين جزيرة أوستيكا[3] وبأعداد هائلة فأول دفعة كانت في نهاية أكتوبر 1911م، وقد كان عددهم تسعمائة وعشرون معتقلا وفي سنة 1914م تم تأسيس سجن آخر بأوستيكا وبدأ يستقبل الأعداد الزائدة، وأصبحت أوستيكا أحد المنافي الرئيسية، كما استقبل هذا السجن سجناء من الجزر الأخرى كجزيرة بونزا لتخفيف الضغط بعد أن شهدت العديد من الأمراض المعدية والأوبئة[4]، وبالتالي ارتفاع نسبة الوفيات مما جعل وزارة الصحة ترسل الطبيب "بيترو كازولي" إلى الجزيرة سنة 1912م لتقصي حقائق السجناء، فوضع هذا الأخير تقريرا عن الأوضاع هناك فسجل فيه حوالي سبعة وتسعين حالة اصابة بالكوليرا ووفاة

1- الصادق شكري، هدرزة في السياسة والتاريخ-الملك ... العقيد ... المعارضة الليبية في الخارج، ج3، الحلقة الخامسة، متاح على الموقع الالكتروني: www.libiyawatanona.com/shukri، تاريخ الزيارة: 2018/04/18م.

2- أنجيلو ديل بوكا، المرجع السابق، ص 29.

3- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، مرجع سابق، ص 332.

4- أنجيلو ديل بوكا، المرجع السابق، ص 30.

حوالي تسعون شخصا الأمر الذي جعل سكان الجزيرة يتقدمون بشكوى إلى عميد البلدية كسابقتها محاولة منهم لإيجاد حل لهذه الأوبئة التي بدأت في الانتشار بين سكان إيطاليا، كذلك احتجوا على الجثث التي تم القاؤها من على باخرة عند قدومها إلى أوستيكا[1] بالقرب من شواطئ الجزيرة كما تم تخصيص مقبرة خاصة كان يدفن فيها المنفيين ولقيت بمقبرة العرب.

وهناك جزر أخرى كذلك أبعد إليها الليبيون كجزيرة فافنيانا منذ سنة 1912م[2]، فقد أشارت الإحصائيات الإيطالية أن عدد المعتقلين في 20 يناير 1912م وصل إلى مئتان وإثنين وسبعين شخصا، ومن خلال الدراسة التي قام بها "روماين راينيرو" على هذا السجن خلال المرحلة من 02 يناير 1916م إلى 30 نوفمبر 1919م وجد بطاقات خاصة بالسجناء الليبيين وصل عددها إلى ألف ومئة وسبعة وخمسون بطاقة كشفت هذه البطاقات عن الأوضاع السيئة التي كان يعانيها هؤلاء السجناء، ومن الأماكن الأخرى التي اشتهرت كمعتقل لليبيين جزيرة بونزا (Ponza)[3]، وتميزت بمناخ صعب جدا على المنفيين الليبيين، خاصة أن هذه الجزيرة هي عبارة عن صخرة كبيرة تعتريها الرياح القوية في فصل الشتاء الأمر الذي زاد من معاناة السجناء والذين كانوا يقبعون في حجراتهم لفترات طويلة بسبب البرودة، ولم يتم تحديد العدد النهائي للسجناء في هذا المعتقل بسبب التنقلات بين الجزر، كما أعيد بعض المعتقلين إلى ليبيا[4].

3- أحوال المنفيين الليبيين في سجون الجزر الايطالية:

وأما عن الظروف الصحية فقد كانت كظروف شبيهاتها من المعتقلات الأخرى من أمراض وأوبئة خطيرة، فعندما زار المفتش "روميونابي Rinapi" هذه الجزيرة وأعد تقريرا أشار فيه إلى ضرورة نقل هؤلاء السجناء إلى سجن آخر وبالفعل هذا ما تم فقد نقل السجناء إلى أوستيكا، وفي ديسمبر 1911م تم افتتاح سجن آخر في جزيرة غانيتا ووصل عدد السجناء إلى ستمائة وستة وستون سجينا ونفس الظروف التي شهدتها المعتقلات الأخرى شهدها هذا المعتقل من ناحية الأمراض ومن ناحية سوء التغذية[5]، كذلك في ارتفاع عدد الوفيات وعدم تحديد العدد النهائي للمساجين في هذا المعتقل.

1- المرجع السابق، ص 32.

2- نفسه، ص 56.

3- إبراهيم النعاجي، في ذكرى نفي الليبيين إلى الجزر الإيطالية، المرجع السابق، ص 03.

4- هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر، المرجع السابق، ص 68.

5- أنجيلو ديل بوكا، المرجع السابق، ص 68.

هذا وهناك عدة أماكن أخرى نفي إليها الليبيون وسجنوا بها لكن بأعداد قليلة ومما لاشك فيه أن هذه المعتقلات التي لم نذكر عنها شيئا هي نسخ طبق الأصل عن المعتقلات المسرودة سابقا فقد صور الصحفي "جوزيبي بفيوني" يعمل في صحيفة لاستامبا تلك المأساة فقد كتب: "إن العرب الذين اكتشفت بحوزتهم أسلحة قبض عليهم وأوثقت أيديهم خلفهم وطوقت رقابهم بحبال كعلامة مميزة وكتب على ملابسهم بقلم الرصاص الذي لا يمحى اسم السلاح الذي ضبط معهم ... وسيقوا المئات إلى المدينة وسط طوابير مزدوجة من الجنود"، كما صور[1] حالهم عند شحنهم على المراكب فذكر أن هناك ترحيلات كبيرة عند الليل من السجناء العرب إلى ترميني وعبر الطرق الخالية تحت الضوء الخافت المنبعث من بضعة مصابيح ... وكان هؤلاء المرحلون محاطون بأعداد من الجنود ذوي البنادق المزودة بحراب مصوبة إلى ظهور السجناء ... كان العرب يمشون في صمت كالظلام وأقدامهم الحافية لا تثير أدنى ضجة إنهم رجال في مختلف الأعمار، لم يكونوا يحملون شيئا سوى الخرق التي تغطيهم، فكانوا يساقون تحت جنح الظلام دون تدوين لأسمائهم أو أخذ إحصائيات لهم[2].

لقد حشر العرب في عنابر مشتركة، فمثلا في جزيرة ترميتي في كل عنبر مئة وثمانين شخصا، كما استخدمت بعض الاصطبلات الخاصة بالحيوانات لسجن هؤلاء المنفيين وكان التبن هو الشيء الوحيد الذي يفرشه المنفيين وينامون عليه[3]، كما كانت هناك أزمات في دورات المياه، فبعض العنابر تحوي على دورة مياه واحدة وبعضها لا يوجد بها، وكانت أغلب الشبابيك بدون زجاج فكانت تجعل المكان شديد البرودة ولأسباب أمنية يمنع تزويد العنابر بسخانات خوفا من نشوب حرائق، وأما ملابسهم فكانت مجرد خرق تغطيهم كالإنسان البدائي، وحتى وإن وفرت لهم السلطات الإيطالية ملابس فإما مستعملة أو من النوع الرديء، فمن المؤسف أن المنفيين كانوا يعاملون كقطيع من الحيوانات[4] ، فعلى سبيل المثال عند الكشف عن هؤلاء المساجين كان الأطباء ينظرون إليهم على أنهم موبوؤون ويجب التعامل معهم بحذر شديد.

1- قناة الجماهرية العظمى، الهيئة العامة لإذاعات الجماهيرة العظمى، وكالة الأنباء الليبية الرسمية، ذكرى أكبر عملية نفي وإبعاد لم يشهد التاريخ لها مثيلا، متاح على الموقع: www.ljb.tv، تاريخ الزيارة، 2018/04/18م.

2- هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر، المرجع السابق، ص 90.

3- إيناس المنصوري، قراءة في رسائل المنفيين الليبيين زمن الاستعمار الإيطالي، ت: يوسف كاجيجي، مرجع سابق، متاح على الموقع: historylibya.blogspot.com، تاريخ الزيارة: 2018/04/18م.

4- أنجيلو ديل بوكا، المرجع السابق، ص 30.

وفيما يخص الطعام فلم يكن أحسن حظا من النظافة والعناية الصحية، فقد واجه السجناء كارثة سوء التغذية[1]، كلها أسباب ساعدت على تفشي الأمراض المعدية في هذه السجون فقد انتقلت إلى الأصحاء أمراض أخرى كالسعال والحكة وغيرها بسبب الرطوبة كذلك والبرودة الشديدة إضافة إلى مرض السل الرئوي[2] والتهاب الأمعاء وفقدان البصر والتهاب الأذن والشلل والملاريا.

لقد تشابهت الأحوال الصحية في أغلب السجون التي سجن فيها الليبيون في كل الجزر حتى وصل الأمر إلى أن يصاب السكان المحليون ببعض أمراض المنفيين وانتشر الذعر في الجزر وحاول بعض سكانها الرحيل إلا أن السفن كانت ترفض نقل المصابين.

ما يمكن إستخلاصه أن الحكومة الإيطالية كان همها الوحيد هو إخضاع الليبيين بشتى الأساليب مستعملة أقصى آليات التعذيب والقتل في حقهم إلى جانب نفيهم وإبعادهم عن بلادهم دون الاكتراث بالعواقب الاجتماعية والصحية والاقتصادية ودون أن تكفل لهم حق العيش ولا تقبل أن تنفق عليهم شيئا يبقيهم على قيد الحياة.

1- المرجع السابق، ص 29-30.

2- إيناس المنصوري، ت: يوسف كاجيجي، قراءة في رسائل المنفيين الليبيين زمن الاستعمار الإيطالي، ،المرجع سابق، متاح على الموقع: historylibya.blogspot.com، تاريخ الزيارة: 2018/04/18م.

الفصل الثالث

انعكاسات السياسة الاستعمارية الايطالية على ليبيا

المبحث الأول: النتائج الاجتماعية والاقتصادية للسياسة الإيطالية

المبحث الثاني: النتائج السياسية والعسكرية للسياسة الاستعمارية

المبحث الأول: النتائج الاجتماعية والاقتصادية للسياسة الإيطالية

لاشك أن فترة الاحتلال الإيطالي لليبيا والتي امتدت من 1911 إلى 1942م قد تركت آثارا واضحة في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، فقد كان الشعب الليبي يمتلك روابط تجانس ديني وعرقي الأمر الذي جعله يستميت في الدفاع عن وطنه ودينه ضد المستعمر، ومع زيادة المقاومة الوطنية واشتدادها[1] وسعي إيطاليا على قمعها بكل الوسائل كان له تأثير في بنية المجتمع الليبي خاصة بعد سيطرة إيطاليا على الموارد الاقتصادية وكذا هجرة أعداد من الليبيين إلى الخارج، نتيجة البطش الليبي وتناقص أعداد السكان إلى الدول الشقيقة، كذلك سعت إيطاليا إلى جلب المستوطنين الإيطاليين[2] وتمليكهم المزارع في ليبيا إضافة إلى محاولتها نشر الثقافة الإيطالية في ليبيا، كل هذه العوامل ساهمت في خلق جيل جديد متأثر بالثقافة الإيطالية رغم محاولتهم التمسك بالعادات العربية الأصيلة.

كما اتبعت إيطاليا سياسة زراعية تمثلت في مصادرة الأراضي وجلبها للمستوطنين وقد عبر العديد من السياسيين عن الدولة العثمانية واتهموها بأنها كانت سببا في تخلف الوطن العربي[3] وذلك لعدم اهتمامها بالتعليم، كما رأت أطراف أخرى أنها على الأقل حافظت على الإسلام والعروبة أمام الهجمات القوية للاستعمار الأوروبي، حيث عملت على إنشاء المساجد والمدارس الدينية[4]، كذلك سمحت للحركات الدينية بممارسة نشاطها خاصة في الدواخل، حيث نشطت الحركة السنوسية في إقامة الزوايا لتعليم علوم اللغة والدين[5]، إلا أن مؤسسات الدولة العثمانية لم تصمد أمام هجمة الاستعمار الإيطالي خاصة وأن الإرساليات التبشيرية قد دخلت منذ القرن الثامن عشر لتؤسس أرضية للاستعمار، وكل ذلك يؤكد لنا أن التعليم في ليبيا في العهد العثماني لم يأخذ طريقه الصحيح ولم يساير حركة التطور الذي شهدها العالم في مجال التعليم.

1- غوليام نادوتشي، استيطان برقة قديما وحديثا، ت: إبراهيم أحمد المهدوي، الدار الجماهيرية، طرابلس، 1995م، ص 176.

2- الشنيطي، قضية ليبيا، المرجع السابق، ص 132.

3- مسعود عبد الله مسعود، ملامح الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا أواخر العهد العثماني حتى الاحتلال الإيطالي سنة 1911م، المجلة العربية، العدد الخامس عشر، المجلد الثالث، جامعة الزاوية، 2013م، ص 120.

4- تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، دراسة تاريخية اجتماعية، الدار العربية، ليبيا، 1988م، ص 290.

5- رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، ط1، دار التنمية للنشر، بنغازي، 1972م، ص 98.

1) أثر الغزو الإيطالي على قطاع التعليم:

مع وقوع ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي في أكتوبر 1911م، بدأ التحرك الإيطالي الاستعماري بسط نفوذه على ليبيا، فقد عملت منذ البداية على التدخل في النظام التعليمي الأهلي[1] والرسمي فقد عمت المدارس الإيطالية العديد من المدن الليبية، حيث ادعى الإيطاليون بأنهم قدموا إلى ليبيا قصد تمدين الشعب الليبي إلا أن ذلك كان إستراتيجية منها لطلينة البلاد، وبدأ قيد التلاميذ الليبيين في المدارس الإيطالية في ليبيا منذ 1912/02/12م وذلك بقصد إيهام المواطنين بحرصهم على تعليم أبنائهم لتمدينهم[2]. كما قامت باستخدام المعلمين الإيطاليين واستكمال النقص في المعلمين باستخدام الضباط من قوات الاحتلال.

وفي 1914/01/15م أصدرت السلطات الإيطالية مرسوما ملكيا يقضي بإنشاء مدارس عربية إيطالية[3] ألحقت إدارتها بوزارة المعارف ووزارة المستعمرات الإيطالية في روما وهذه المدارس ابتدائية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، كما اقتصر عمل المعلم العربي على تدريس اللغة العربية والدين فقط وتركت المواد الأخرى للمعلم الإيطالي وذلك دليل على أن المعلم العربي كان مساعدا.

لما رأت سلطات الاحتلال انصراف الأهالي عن هذه المدارس لعدم قبولهم لهذا النوع من التعليم وشكهم في أهدافه انصرف الكثير منهم إلى المساجد والكتاتيب والمدارس القرآنية[4]، ذلك جعلها تصدر مرسوما آخر ملكي في عام 1915م للسيطرة على الكتاتيب والمساجد والمدارس القرآنية من بين بنوده: تنظيم الكتاتيب وصرف مكافأة مالية للفقهاء، لكن بشروط منها:

- أن يتجاوز عدد التلاميذ في الكتاب الواحد خمسة وعشرون تلميذا تتراوح أعمارهم بين خمسة وأربعة عشر سنة.
- كما يخضع الكتاب لرقابة المفتش الإيطالي ومتابعته له، وهكذا أخضعت السلطات الإيطالية جميع النشاط التعليمي لرقابتها قصد التأثير في الناس وتوجيههم لمصلحتها الخاصة.

إلا أنه مع قيام الحرب العالمية الأولى فقد لاقى التعليم تقهقرا واضطرابا[5]، وسعت إيطاليا إلى التقرب من الليبيين وأبقت التعليم الديني على ما هو عليه دون تطوير وفقا للاتفاقيات التي عقدتها الحكومة الإيطالية مع

1- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 334.
2- غوليام نادوتشي، استيطان برقة قديما وحديثا، المرجع السابق، ص 180.
3- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 335.
4- رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 190.
5- نفسه، ص ص191-192.

الليبيين في أعوام 1917، 1919، 1920م فقد شمل القانون الأساسي الذي صدر لطرابلس وبرقة والذي تمت الإشارة إليه في فصل المفاوضات مع إيطاليا وبه عدة نقاط خاصة بتنظيم التعليم في ليبيا من أهمها:

1- تأمين حرية التعليم لليبيين وجعل التعليم الابتدائي إلزاميا للبنين.

2- استخدام اللغة العربية في التعليم وتدريس اللغة الإيطالية بعد الفرقة الثالثة الابتدائية.

3- احترام تعليم العقيدة الإسلامية وإعادة فتح الزوايا والكتاتيب.

4- فصل إدارة التعليم في ليبيا عن وزارة المستعمرات ووزارة المعارف الإيطالية وإنشاء إدارة محلية للتعليم في ليبيا لتكون حرة في توجيهه توجيها استعماريا .

رغم أن هذا المرسوم أعطى بعض الحقوق للمواطنين إلا أنها كانت غير كاملة ولم تمارس من قبل أهل البلاد، وعلى إثر ذلك سمحت السلطات الإيطالية باستخدام ريع الأوقاف في إنشاء المدارس الإسلامية[1] وقامت بفتح مدارس عربية إيطالية إضافة إلى إنشاء مدارس عليا للثقافة الإسلامية والإبقاء على المدارس القرآنية.

ولتتبع مسيرة التعليم في العهد الإيطالي الأول يمكن حوصلة النتائج في قيام المؤسسات التعليمية التالية:

أ- المدارس العربية والتعليم الوطني: هذا النوع من المدارس كان موجودا قبل الاحتلال الإيطالي لليبيا، ويتعلم فيها أبناء البلاد وحدهم، ومن المعروف أنه كان في ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي تعليم إسلامي ديني له مؤسساته القائمة على نشر الثقافة الإسلامية، وكان الراغبون من أبناء البلاد في التزود من هذه الثقافة الدينية يرحلون إلى مصر للالتحاق بالجامع الأزهر لمواصلة تعليمهم، أو إلى جامع الزيتونة بتونس، وإلى جانب هذا التعليم الديني كان يتوفر تعليم عصري ومدارس حديثة، وعلى سبيل المثال: المدارس الابتدائية والرشدية والإعدادية ودار للمعلمين ومدارس للفنون والصنائع الإسلامية ومدرسة زراعية[2]، كل هذه المؤسسات وجدت قبل مجيء الاحتلال الإيطالي ولم يكن من الطبيعي أن يبقي المستعمر على هذه الأنواع من التعليم لذلك فقد توقف كل نشاط تعليمي بوقوع الغزو[3].

وقد اختطت سلطات الاحتلال سياسة تعليمية بالنسبة للمدارس العربية نذكر من بينها:

1-المرجع السابق، ص ص193-194.

2- عمار عبد الجليل أحتيوش، الجوانب النفسية والتنظيمية للإدارة المدرسية - دراسة تحليلية لطبيعة عمل الإدارة المدرسية في مرحلة التعليم الابتدائي بأمانة التعليم بالزاوية، رسالة ماجستير، ليبيا، 2005م، ص 22.

3- رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 195.

- السماح باستمرار التعليم في الكتاتيب والمدارس القرآنية بطريقتها التقليدية ولكن تحت إشراف السلطات التعليمية.
- عدم التدخل في النشاط التعليمي الذي تمارسه الزوايا السنوسية.

أوجدت سلطات الاحتلال مدارس ابتدائية جديدة مدة الدراسة بها ثلاث سنوات في القرى والمدن الصغيرة وخمس سنوات في المدن الكبيرة.

كما أحجم الآباء عن تعليم بناتهم بعدما رأوه من وحشية المحتلين وسوء سلوكهم الذي يتنافى مع الشرائع الإسلامية والتقاليد العربية، إلا أن هذا التعليم كان مجرد نصوص قوانين لم تر النور.

ب- المدارس العربية الإيطالية: هذه المدارس تختلف تماما عن سابقتها حيث يتم فيها قبول التلاميذ الليبيين والإيطاليين معا، وهي فكرة استعمارية قصد بها التأثير في المواطنين العرب عن طريق الاختلاط في مدرسة واحدة أي عملية تأثير وتأثر والمساهمة غير المباشرة في نشر الثقافة الإيطالية[1]، ومدة الدراسة بهذه المدارس خمس سنوات وكانت المواد المدروسة تشمل القرآن الكريم واللغة العربية وبقية المواد تدرس باللغة الإيطالية[2]، إلا أن هذا النوع من المدارس لم يلق قبولا ولم يجد التشجيع الكافي من المواطنين الليبيين وسرعان ما اندثر.

جـ- المدارس الإيطالية: قبل مجيء الإيطاليين إلى ليبيا عام 1911م كانت هناك مدارس تخص الجاليات الإيطالية، وبعد الاحتلال تدعمت هذه المدارس وتعدد انتشارها ومن بينها:

- مدارس رياض الأطفال.
- مدراس ابتدائية.
- مدارس ثانوية وفنية[3].

وبالتالي تم التوسع في إنشاء هذا النوع من المدارس، لقابلية الزيادة في عدد المهاجرين الإيطاليين الوافدين إلى ليبيا، وقلة عدد التلاميذ الليبيين بهذه المدارس وذلك بسبب انشغالهم في مقاومة الغزو الإيطالي.

إلا أنه مع وصول الحزب الفاشي إلى السلطة في إيطاليا سنة 1912م عمل على ترسيخ الثقافة الإيطالية بإحلال التعليم الإيطالي محل التعليم المحلي وتدريس المواد باللغة الإيطالية ما عدا القرآن الكريم واللغة العربية، وكانت اللغة الإيطالية هي لغة المعاملات الرسمية بالإضافة إلى ذلك حرم الإيطاليون على العرب الليبيين تأسيس

1- المرجع السابق، ص 200.
2- محمد بن مسعود، كأنك معي في طرابلس وتونس، ط1، طرابلس، 1953م، ص 155.
3- رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 201.

النوادي وإنشاء المطابع وتأسيس الصحف وممارسة التأليف[1]، ومنعوا وصول أنواع الصحف والمجلات كافة مع سجن كل من يخالفها، بل وصل سلوكهم إلى درجة جعل أسماء الشوارع داخل المدن الليبية بأسماء إيطالية[2]، واتخذت عدة مظاهر ومحاولات لتنصير المسلمين، أما بالنسبة للتعليم فقد اتخذ الاستعمار الفاشستي سياسة محاربة التعليم الديني الوطني وحل محله التعليم الإيطالي المفروض فقد تم إغلاق الزوايا ومحاربة المدارس القرآنية والكتاتيب.

إلى جانب أن الإيطاليين أنشئوا نظاما تعليميا صرفا في ليبيا دعت إليه بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، منذ تولي رئاسة الحكومة في ليبيا كل من "فولبي Volpi" عام 1922م ثم خلفه الجنرال "دي بونو De Bono" عام 1925م، ويليه الجنرال "بادوليو" 1929م، كل هؤلاء بذلوا سياسات قوية وواضحة في تطوير التعليم في ليبيا وكانوا مدعومين في ذلك من روما، حيث خضعت البلاد في عهد "بادوليو" وتم بناء الكثير من المدارس حتى في المناطق النائية، واشتمل تنظيم التعليم أيضا على بقاء المدارس الابتدائية ذات الصفوف الخمسة[3] التي كانت موجودة في العصر الأول، وكانت تحتوي على قسمين:

– **القسم الأول:** مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات.

– **القسم الثاني:** مدة الدراسة سنتان مع التأكيد على اللغة الإيطالية في كلا القسمين.

أما التعليم الثانوي فقد كان محدودا والهدف منه إعداد معلمين لمرحلة الكتاتيب وأمناء المكتبات والموظفين الصغار العرب ،كما أنشأت مجموعة من المدارس للفتيات لتعليمهن على أصول التدبير المنزلي وتعليمهن كان من طرف راهبات مختارات من قبل السلطات الاستعمارية الفاشستية[4]، أما المدارس الخاصة باليهود فقد استمرت تزاول نشاطها التعليمي لأنهم استطاعوا أن يكونوا على وفاق تام مع الإيطاليين، إلى جانب نوع آخر من المؤسسات التعليمية هي مدارس الإرساليات الدينية والجاليات الأوروبية وهذا النوع من المدارس هو الآخر قد استمر في تأدية وظيفته وقد لقي تشجيعا من السلطات الإيطالية الفاشستية بشرط أن تعمل على نشر الثقافة الإيطالية ومحاربة الثقافة العربية الإسلامية[5].

1– عمر محمد التومي الشيباني، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، إدارة المطبوعات والنشر، جامعة الفاتح، 2001م، ص 03.

2– الشنيطي، قضايا ليبيا، المرجع السابق، ص 135.

3– رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 237.

4– راسم راشد، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط1، طرابلس، 1953م، ص 120.

5– رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 238.

وقد شددت الحكومة الإيطالية في قوانينها خاصة في العهد الفاشي على التأكيد على الصبغة الإيطالية في ليبيا[1]،حيث أضفى القانون التعليمي رقم 1698 الصادر في 21 يونيو 1928م الطابع الفاشي على التعليم في ليبيا فنص هذا القانون على أن المدارس الابتدائية مدة الدراسة فيها خمس سنوات وأصبحت اللغة الإيطالية منذ السنوات الأولى وألغيت المدارس الحكومية والفنية التي أنشأت سنة 1922م تبعا لهذا القانون، وتم إجبار الطلاب الذين يرغبون في مواصلة التعليم الثانوي على الالتحاق بالمدارس الإيطالية، أما المدارس فكانت تدار من قبل مدراء إيطاليين[2]، وتم إغلاق الزوايا وجميع المدارس الخاصة بالليبيين عدا المدارس الابتدائية وفي المقابل توسعت في فتح المدارس الإيطالية، وكانت أنواع المدارس الإيطالية في ليبيا كالآتي:

- مدارس رياض الأطفال.
- المدارس الابتدائية ذات الخمس سنوات.
- المدارس الثانوية.
- المدارس الفنية المهنية.

وقد كانت أهداف الفاشستية العامة للتعليم هو تجريد الأطفال الليبيين من هويتهم العربية تدريجيا وإدماجهم في الثقافة الإيطالية[3] وزيادة الولاء لإيطاليا، إلا أن الليبيين حاولوا الإحجام نوعا ما عن المدارس الإيطالية وإرسال أبنائهم إلى الكتاتيب والاكتفاء بالتعليم الابتدائي وإرسال من لديه الرغبة في مواصلة الدراسة إلى الدول العربية المجاورة خاصة مصر وتونس، وما يمكن قوله عن التعليم في العهد الفاشستي الإيطالي لم يكن تعليما منظما وفق برامج معدة، ولم يكن مبنيا على أسس علمية معرفية بل كان مبنيا على سياسة استعمارية متسلطة هدفها الوحيد هو إرغام الليبيين على إتباع سياستهم المجحفة[4].

2) تأثيرات الثقافة الإيطالية على ليبيا:

التغلغل الثقافي الإيطالي شق طريقه إلى المجتمع الليبي عبر قنوات متعددة بطريقة مباشرة أو بصورة احتوائية، وكان تعاطفهم مع الدين الإسلامي في مقدمة تلك القنوات حيث أدركوا منذ البداية خطورة المساس بتعاليم الدين

1- الشنيطي، المرجع السابق، ص 135.
2- راسم راشد، المرجع السابق، ص 121.
3- بشير السعداوي، المرجع السابق، ص 22.
4- نفسه، ص 28.

الإسلامي، وتمثلت هذه السياسة منذ البداية في المنشور الذي أصدره "كارلو كانيفا"[1] بعد سيطرته على طرابلس، وكذلك العديد من المراسيم التي أصدرت عن السلطات الإيطالية في عدة مناسبات، فكانت تقام الاحتفالات بالمناسبات الدينية كالأعياد، كما قدمت الحكومة تسهيلات للراغبين في أداء فريضة الحج[2]، و تركت الكتاتيب والزوايا تمارس رسالتها التعليمية الدينية زيادة على ذلك اهتمت بالمساجد وقامت بترميم بعضها، كما ساهمت في بناء عدة مساجد في المناطق النائية مثل: الحنية وأم الرزم، كما اهتم المستشرقون الإيطاليون بالتراث العربي الإسلامي وقاموا بدراسته وألفوا العديد من الكتب حول الدين الإسلامي والعادات الاجتماعية العربية، واهتم الإيطاليون بالقضاء الشرعي[3] ومنح القضاة امتيازات خاصة دون بقية المواطنين الليبيين، وفي سنة 1935م تم تنظيم القضاة على شكل بناء هرمي على رأسه رئيس المحكمة الشرعية العليا بعدها يأتي نواب القضاة يليهم المفتي ثم الكتاب الشرعيون.

كذلك كانت المدارس قناة من قنوات التغلغل الثقافي الإيطالي في البلاد فقد انتشرت المدارس الإيطالية في أغلب المدن والقرى الليبية وحرصت بشتى الطرق على كسب ثقة الليبيون بتركيزهم على تدريس اللغة العربية[4] والدين الإسلامي من خلال المناهج المختلفة وفكرة إنشائهم للمدرسة الإسلامية العليا إلا لمنع الليبيين من الذهاب إلى الدول العربية الكبرى لاستكمال دراستهم[5]، أما المناهج المدروسة فكانت إن لم نقل كلها تهتم بإيطاليا وتاريخها والشخصيات البارزة وبعض المعالم الإيطالية بالإضافة إلى تحية الطلاب للعلم الإيطالي يوميا.

كما أنشأ الإيطاليون بعض المؤسسات الاجتماعية التي ساهمت في التغلغل الثقافي وعلى رأسها جمعية "الليثوريو العربية"[6] فقد إستهوت هذه الجمعية الطلبة الليبيين بزيها الموحد وبرامجها الرياضية والرحلات التي كانت تقوم بها إلى المؤسسات والمعالم الحضارية، كان مركزها الرئيسي بالنسبة لليبيا في مدينة طرابلس ثم فتح لها فروع في مختلف المراكز الرئيسية في البلاد، وبلغ عدد المنتسبين لها سنة 1936م حوالي ستة عشر ألف شاب من بينهم

1- **كارلو كانيفا:** قائد الحملة الإيطالية على ليبيا في 1912م، السيف الفاروق، أرشيف التاريخ العالمي والإسلامي، منتديات ستار تايمز، 2006/12/22م.

2- مجلة ليبيا المصورة، ديسمبر 1938م، العدد الثالث، السنة الرابعة، ص 03.

3- محمد التومي الشيباني، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، إدارة المطبوعات للنشر، جامعة الفاتح، 2001م، ص 03.

4- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 335.

5- نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، المرجع السابق، ص 113.

6- **الليثوريو:** هذه المنظمة على غرار شبيبة الليثوريو الإيطالية وهي مؤسسة أنشئت في روما سنة 1929م بهدف تقديم المساعدات لأبناء الإيطاليين في الخارج وكانت تضم الشباب من سن السادسة حتى 21 وتركز على النشاط البدني والرياضي.

ثلاثة آلاف فقط في طرابلس وأوفد ألف وخمسمائة شاب إلى إيطاليا ضمن برامج الرحلات الخاصة بالجمعية، كما كان الانضمام إلى هذه الجمعية يسهل إجراء الحصول على الجنسية الإيطالية بالنسبة لليبيين[1].

كذلك كان للجرائد والمجلات دورا محددا في نشر الثقافة الإيطالية وذلك لقلة الفئة المتعلمة في تلك الفترة، ومن بين مجموعة الجرائد التي صدرت في تلك الفترة "اللواء الطرابلسي" ورئيس تحريرها "عثمان القيزاني"، و"بريد برقة" رئيس تحريرها "عمر فخري المحيشي"، "الحقيقة" كانت تصدر بالعامية، "الرقيب العتيد" هي امتداد لجريدة "الرقيب" التي كانت تصدر في العهد العثماني محررها "محمود نديم"، و"ليبيا المصورة"[2] رئيس تحريرها "عمر فخري المحيشي"، وكانت هذه الصحف والمجلات تصدر باللغة العربية وتتناول الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ليبيا، وكانت تتصدر صفحاتها إعلانات ودعايات لبعض المؤسسات والقادة الإيطاليين وبعض المشاريع التي تقوم بها إيطاليا في ليبيا.

بالإضافة لكل ذلك كان هناك اتصال مباشر بين الإيطاليين والليبيين في المعاملات اليومية خاصة في المدن الكبرى، ومع ازدياد عدد المهاجرين الإيطاليين إلى ليبيا طلبا للعمل في المستعمرة الجديدة أمام قلة المساكن المتوفرة في المدن اضطر هؤلاء إلى استئجار بعض الغرف أو أجزاء من المساكن الخاصة بالليبيين والدخول إلى الأحياء الشعبية الليبية وهذا زاد من عملية الاحتكاك، كما دخلت إلى البلاد وسائل ومنتجات الحضارة الحديثة من سلاح ووسائل اتصال وكهرباء ونظم إدارة، ونظم الصرف الصحي إلى المنازل، وأطلقت الأسماء الإيطالية على الشوارع[3] وتمت كتابتها باللغة الإيطالية، حتى الموظفون الليبيون في الدوائر الحكومية أجبروا على ارتداء اللباس الإيطالي، وانتشرت الكنائس في المدن ووضع الصليب على واجهة المدارس والمحاكم.

كما قام بعض من الليبيين الذين تأثروا بزيف الحضارة الإيطالية بالذهاب والدراسة في إيطاليا فظهر تأثيرا واضحا للغة الإيطالية[4] في الشارع الليبي، وبالرغم من فشل السياسة الإيطالية في تحقيق أهدافها إلا أنها ألحقت وأحدثت نوعا من الإعاقة في عقلية المواطن العربي الذي لا يزال ينظر إلى المجتمع الغربي على أنه مجتمع متحضر.

كذلك ركزت السياسة الإيطالية على الجانب المعماري في ليبيا وحاولت ربطه بالمعمار الإيطالي فقد اهتموا بجميع القلاع التي تعود للحقبة الإسلامية في ليبيا وقاموا بصباغة وترميم بعض الحصون والقلاع التركية في ليبيا،

1- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 359.

2- حسين بوشعالة، تاريخ الحركة الثقافية في ليبيا إبان الاحتلال الإيطالي، مجلة مصر الجديدة، 2009م.

3- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 335.

4- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي – التاريخ المعاصر، ط2، بلاد المغرب، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص 29.

كما قاموا ببناء الأسوار حول المدن منذ بداية احتلالهم، فمثلا: بعد احتلال مدينة طرابلس قام الإيطاليون ببناء سور جديد يحيط بمدينة جديدة أقاموها إلى جانب المدينة القديمة بنوها على الطراز الأوروبي الحديث من حيث تخطيط شوارعها بشكل أوسع[1]، وكانت فكرة بناء الأسوار حول المدن كإجراء دفاعي ضد هجمات المجاهدين، كما شيدت العديد من المباني السكنية والزراعية لاستقبال المستوطنين الإيطاليين.

3) هجرة الليبيون إلى خارج الوطن:

إن الهجرة ظاهرة اجتماعية عرفتها البشرية منذ ظهور الإنسان وظلت ملازمة له حسب ما تمليه الظروف الاقتصادية والسياسية، فكثيرا ما تركت الشعوب أوطانها بسبب الجفاف والأوبئة أو بسبب الحروب، وقد تعددت أشكال الهجرة فبعضها داخلي وبعضها خارجي ولكن ما نحن بصدده في الحالة الليبية فهي هجرة خارجية حدثت بشكل فردي أو جماعي نتيجة لظروف سياسية واقتصادية، وقد بدأ الليبيون في الهجرة إلى الدول المجاورة[2] منذ أن وقع الغزو الإيطالي على ليبيا في أكتوبر 1911م وبأعداد هائلة بسبب قوة البطش والتعذيب التي مارستها الحكومة الإيطالية ضد المقاومة والأهالي[3]، والتي وصلت إلى درجة القضاء على الموارد الاقتصادية والسيطرة عليها لإجبار المقاومة على الاستسلام، لذا قرر العديد من الليبيين الهجرة إلى الدول المجاورة ولا توجد إحصائية دقيقة، واختلف الباحثون والمؤرخون في تحديد نسب المهاجرين وأعدادهم فهناك من قال أن مائة ألف هاجروا إلى مصر وعشرة آلاف إلى الشام، وعشرين ألف إلى تونس، بينما ذكر "الطاهر الزاوي" أن من هاجروا إلى مصر حوالي أربعة عشر ألفا، وإلى تونس حوالي عشرين ألفا[4].

وهذا الاختلاف في الإحصائيات راجع إلى أن هذه الهجرات كانت تتم خارج نطاق الدول المستعمرة سواء في مصر أو ليبيا، وأغلب المهاجرون لا يرغبون أن تراهم أعين السلطات، وكذلك هناك من عاد من المهاجرين خلال المرحلة الأخيرة من الاستعمار بعد انتهاء المقاومة المسلحة، فبعض التقارير أشارت أن عدد

1- بشير السعداوي، فظائع الاستعمار الإيطالي الفاشستي في طرابلس، مرجع سابق، ص 25.

2- هاجر الليبيون إلى العديد من الدول مثل سوريا وفلسطين ومصر وتونس والجزائر وتشاد والنيجر والسودان، ولكن كانت مصر وتونس والسودان من بين الدول التي استقبلت الأعداد الكبيرة. انظر: الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة (1924-1952م)، دار الفرجاني، 1976م، طرابلس، ص ص 11-13.

3- كلود هلمبو، رحلة في الصحراء الليبية، ت: حامد محمد مراد، دار الفرجاني، 1969م، طرابلس، ص ص 109-110.

4- الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة (1924-1952م)، المرجع السابق، ص 13.

سكان ليبيا تناقص سنة 1932م[1] من مليون ونص المليون نسمة إلى ستمائة وخمسين ألف نسمة، ثم ارتفع إلى سبعمائة وخمسين ألف نسمة سنة 1940م بعد عودة بعض المهاجرين من الدول المجاورة، ومن الأمور أيضا التي تجعل عملية إحصاء المهاجرين أمرا صعبا هو أن جزء كبيرا منها قد وقع في المجتمع البدوي[2]، وبطبيعة الحال إنه مجتمع متنقل يصعب إجراء تعداد له أو حتى مراقبته مراقبة دقيقة.

ومع وصول الحزب الفاشي إلى الحكم في إيطاليا سنة 1922م وسعيه للقضاء على المقاومة في ليبيا بكل الوسائل اضطر الكثير من الناس مع احتدام الصراع في البلاد إلى الخروج من ليبيا طلبا للأمن، كما هاجر آخرون لقيادة حرب سياسية ضد إيطاليا خارج ليبيا، ومن بين هؤلاء "بشير السعداوي"[3] و"سليمان الباروني" وغيرهم كثيرون ممن قادوا حربا إعلامية في المحافل الدولية.

هذا بالإضافة إلى أن الأوضاع الاقتصادية كانت عاملا آخر في هجرة الليبيين إلى الخارج، فالجفاف الذي عم البلاد خلال سنوات الحرب العالمية الأولى وانتشرت معه الأوبئة والأمراض مما قاد إلى هجرة أعداد كبيرة من العائلات إلى مصر سنة 1916م، وزادت الأوضاع الاقتصادية سوءا بعد تركيز السلطات الإيطالية على جلب المستوطنين الإيطاليين إلى ليبيا والاستيلاء على أراضي الليبيين وتحويل ملاكها إلى عمال مستأجرين عند أصحابها الجدد من الإيطاليين[4]، وبهذا فإن الهجرة الليبية ليس لها فترات محددة فكانت تزداد كلما زاد الحال في الداخل سواء عسكريا أو اقتصاديا، فكان يعقب كل معركة كبيرة يهزم فيها الإيطاليون أن تخرج أفواج من المهاجرين خوفا من ردة الفعل الإيطالي، فمثلا بعد احتلال الكفرة هجرها أهلها إلى السودان والتشاد ومصر.

ولم يسلم الليبيون الذين هاجروا إلى الخارج من السلطات الإيطالية فقد سعت إلى محاربة في المهجر عن طريق تحالفها مع الدول الاستعمارية، كما قامت بإغراء المهاجرين بالعودة إلى بلادهم بعد انتهاء المقاومة وكان للقنصل الإيطالي بالقاهرة "كانتالوبو Cantalpo" دورا كبيرا في هذا المجال عن طريق الدعاية[5] لذلك في الجرائد

1- ليلى علي العاتي، أحمد رافيدي صالح، مقال بعنوان: أثر عمليات الهجرة على تغير التركيبة السكانية في ليبيا إبان الاحتلال الإيطالي (1911-1943م)، المجلة العربية، معهد الدراسات المالية والدولية، العدد 18، المجلد الثاني، مايو 2016، ص 131.

2- كلود هلمبو، المرجع السابق، ص 154.

3- مجيد الخدوري، ليبيا الحديثة، المرجع السابق، ص 38.

4- ليلى علي العاتي، أحمد رافيدي صالح، أثر عمليات الهجرة على تغير التركيبة السكانية في ليبيا إبان الاحتلال الإيطالي (1911-1943م)، المرجع السابق، ص 123.

5- نفسه، ص 130.

المصرية وهو ما جعل الكثيرين يقدمون طلبات لغرض العودة إلى ليبيا، كما كثفت جهودها في الصحف الليبية، مثلا في مجلة ليبيا المصورة والتي كانت تصدر في بنغازي سعت للدعاية للانجازات الإيطالية في ليبيا وكانت تصدر باللغة العربية، والواضح أن السلطات الإيطالية أصرت على إرجاع الليبيين المهاجرين خارج ليبيا وذلك سعيا منهم لإنهاء أعمالهم السياسية ضدها وليس حبا فيهم.

الاستيطان البشري الإيطالي في ليبيا:

بدأت عمليات الاستيطان الإيطالي في شمال ليبيا خاصة شمالها الغربي منذ سنة 1913م حيث كان حينها الإيطاليون يسيطرون على حوالي سبعة وثلاثون % من الأراضي الزراعية في شمال البلاد، بالقرب من المراكز العمرانية القديمة وقد ربطت هذه المستوطنات بشبكة من الطرق، وقد حرصت الحكومة الإيطالية منذ البداية على السيطرة على الأراضي[1] بطريقة قانونية وتسجيلها باسم الدولة الإيطالية، بدأ من المرسوم الملكي الصادر في 05 نوفمبر 1911م والقاضي بضم ليبيا إلى الممتلكات الإيطالية رغم سيطرتها على أجزاء قليلة من الساحل الليبي، وفي بداية 1913م أنشأت الحكومة الإيطالية مصلحة التسجيل العقاري بمدينة طرابلس، ثم بعد ذلك أنشأت عدة مكاتب في العديد من المدن الأخرى وأوكلت إليها مهمة إجراء العمليات العقارية من تسجيل وإشهار وكان هدفها الأساسي هو الاستيلاء على أراضي الليبيين وممتلكاتهم وتمليكها للإيطاليين.

وقد صدر أمر آخر في 15 أكتوبر 1916م يجيز للحكومة الإيطالية التصرف في أملاك الليبيين الذين فروا من المدن وانضموا إلى المجاهدين[2]، وفي شهر يوليو 1922م أعلنت الحكومة الإيطالية قرارا بأن كل أرض غير مزروعة تصبح ملك للدولة، وفي 1923م قررت الحكومة منح الأراضي للمستوطنين الإيطاليين لقاء أجرة تدفع سنويا مع إمكانية شرائها فيما بعد.

بالرغم من كل هذه الإجراءات والقرارات إلا أن سياسة إيطاليا الاستيطانية لم تبدو واضحة المعالم إلا بعد أن وصل الحزب الفاشي إلى السلطة وتولى حكم ليبيا بعض الحكام الجادين في جعل ليبيا مستوطنة إيطالية[3] وكان على رأس هؤلاء "فولبي Volpi" (1921-1925م)، والذي كان مؤمنا بأن التنمية الاقتصادية في ليبيا لا يمكن أن تتم إلا من خلال فرض السيطرة العسكرية على البلاد، واتسمت سياسته بانتهاج الأسس التالية:

1- راسم راشد، طرابلس العرب في الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص 114.

2- بشير السعداوي، المرجع السابق، ص 21.

3- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 350.

- مصادرة جميع أملاك المجاهدين[1] وكل من يشكون في ولائهم لهم.
- استيلاء الدولة على كل الأراضي التي تراها ضرورة للمصلحة العامة.
- إجبار الكثير من الملاك على بيع أراضيهم للدولة بسعر أقل من سعرها الرسمي.

كما قدم "فولبي" خلال فترة حكمه حلولا فورية للمشاكل الأساسية في فرض الأمن على الأرض وتوفير الأراضي الزراعية ورأس المال وبدأ المستوطنون في امتلاك أفضل الأراضي في شمال طرابلس، وقد عمل الإيطاليون في البداية على استغلال المرافق الخاصة بالعثمانيين في مجال الزراعة والإدارة.

وخلف "فولبي" في حكم ليبيا "دي بونو De Bono" (1925-1928م) الذي سعى لحسم الأمور عسكريا لتوفير الأمن والاستيلاء على مزيد من الأرض، وقد أعلن على إمكانية حصول المزارعين على قروض زراعية[2] كدعم لهم من الدولة وكانت تمنح هذه القروض من صندوق التوفير الذي أسس في بنغازي في مايو 1925م وإجراءات الحصول على القرض سهلة ومتاحة، وقد وصلت قيمة القرض إلى أعلى مستوى لها في 1931م، وقبل أن يغادر "دي بونو" الحكم بفترة قصيرة أرسى دعائم الهجرة من إيطاليا إلى ليبيا وتغير نمط الاستيطان الاقتصادي إلى استيطان بشري كان مضمونه يتركز على الاستغناء عن العمالة الوطنية والتركيز على استقبال أسر من الفلاحين الإيطاليين وذلك لتوطينهم في ليبيا وتلك خطة إيطاليا لتغيير التركيبة السكانية للبلاد[3].

وقد خلف "دي بونو" "بادوليو" وحرص على جلب أكبر عدد ممكن من الأسر الإيطالية وفقا لقانون 1928م الذي نص على توطين الأسر الإيطالية الزراعية في ليبيا، كما توسع في منح القروض الزراعية لتشمل البحث عن المياه وحفر الآبار وكل ما له علاقة بالزراعة، وساهم في تهدئة البلاد بأكملها حتى يتم توطين العائلات الإيطالية بها[4].

وتجدر الإشارة إلى أن منطقة الجبل الأخضر ظلت خارج التنمية الزراعية حتى سنة 1932م، اي بعد القضاء على المقاومة في الجبل الأخضر حيث أنشأ الإيطاليون جهاز "الأنتى Ente"[5]، وهو عبارة عن مؤسسة إدارية فنية اقتصادية ومالية مستقلة مكلفا بأحياء منطقة الجبل الأخضر وتوطين الأسر الإيطالية بها، وحدد هذا الجهاز مساحة المزارع بـ عشرين-خمسة وعشرين هكتار وقام ببناء المساكن وشق الطرق وحفر الآبار وبناء المدارس

1- إ.ن. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر إلى 1969م، المرجع السابق، ص 349.
2- غوليام ناردوتشي، استيطان برقة قديما وحديثا، المرجع السابق، ص 191.
3- نفسه، ص 178.
4- إ.ن. بروشين، المرجع السابق، ص 152.
5- نيقولا زيادة،محاضرات في تاريخ ليبيا من الإستعمار الإيطالي إلى الإستقلال،المرجع السابق،ص 114.

والكنائس ومكاتب البريد، ومع نهاية سنة 1934م توسعت أعمال هذا الجهاز لتشمل طرابلس أيضا، كما كانت إلى جانبه بعض الشركات الأخرى تعمل لنفس الغرض.

وقد وصلت عمليات الاستيطان الزراعي البشري أوجها في عهد "اتالو بالبو Italo Balbo" (1934-1940م) حيث توسع في إنشاء القرى[1] لاستقبال المهاجرين وزرعت آلاف من أشجار الزيتون واللوز والخوخ والمشمش والعنب وغيرها، وقد ضم "بالبو" حوالي مليون وربع المليون هكتار لاستغلالها للاستيطان البشري وخصص مبلغ حوالي ستون مليون ليرة إيطالية لتعويض العرب الذين فقدوا أراضيهم، وقام ببناء ثمان قرى جديدة، ووسع سبع مستوطنات قديمة لاستقبال المستوطنين الإيطاليين، وبدأ العمل على توطين مائة ألف نسمة في المشاريع الزراعية[2] خلال الخمس سنوات، وفي نهاية أكتوبر 1938م أبحرت ست عشر سفينة تحمل ألف وثمانمائة أسرة مكونة من عشرين ألف نسمة من ميناء جينوة ونابولي استقرت في خمس قرى زراعية[3] في طرابلس وأربع قرى في برقة، وفي عام 1939م وصلت ألف وستمائة أسرة ضمت أحد عشر ألف إيطالي.

وكانت الشروط التي يجب توفرها في العائلة الإيطالية التي ترغب في الذهاب إلى ليبيا وامتلاك مزرعة بها أن تكون من أصل زراعي وكثيرة العدد في أفرادها ويكونوا قادرين على العمل وأن تكون مخلصة للفاشية[4]، وتعتبر هذه الهجرة تتويجا لجهود سنوات طويلة وهي أكبر عمل حققته إيطاليا في مجال التنمية الزراعية وقد وضعت لها العديد من الخطط ورصدت لها الملايين لتحقيقها، كما أشرف عليها العديد من الزعماء الذين أخلصوا في تنفيذها أمثال "إيتالو بالبو" الذي حاول التقرب من الليبيين وأعطاهم بعض الحقوق، لذلك لم ترضى عنه الحكومة الإيطالية واتهمها البعض بأنها كانت وراء سقوط طائرته فوق مدينة طبرق في 1940/06/28م بقذيفة لم يعرف مصدرها.

1- هو طيار إيطالي شغل منصب حاكم ليبيا (1933-1940)، قدم في عهده مئتي ألف مستوطن إيطالي إلى ليبيا دفعة واحدة سنة 1938، توفي عندما سقطت طائرته في مدينة طبرق في 1940/06/28،أنظر:غسان عتيقة،المرجع السابق،2018/04/04.

2- ربيع محمد علي حامد الذرعاني، التغير في استخدام الأراضي الزراعية في مشاريع الاستيطان الزراعي في ليبيا-دراسة حالة سهل المرج-، رسالة مكملة لمكملات درجة الإجازة العالية الماجستير، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة بنغازي، 2013م، ص 2.

3- علي الميلودي عمورة، ليبيا - تطور المدن والتخطيط الحضري، دار الملتقى، ط1، 1992م، بيروت، ص 80.

4- غسان عتيقة، قراءة في كتاب بالبو حياة فاشستية، ليبيا المستقبل، 2018/04/04، 21:15.

وقد خلفوا أكثر من مليوني شجرة زيتون وواحد وأربعين مليون شجرة عنب ومليونين إلا ربع شجرة لوز في منطقة طرابلس، يقابلها أربعمائة وخمسة وعشرين ألف شجرة زيتون وثلاثمائة وخمسة وخمسين ألف شجرة لوز وسبعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف شجرة عنب في برقة، تركوها وراءهم بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية.

تأثير السياسة الإيطالية على التجارة والصناعة:

أ- التجارة: تتمتع ليبيا بموقع هام جعلها تلعب دورا في حركة التجارة بين إفريقيا وأوروبا وكذلك مع دول الجوار العربي، فكانت القوافل التجارية تنطلق من طرابلس نحو الجنوب الشرقي من ليبيا حتى واحة "سيوة" ومن هناك إلى دلتا مصر، حيث تنتهي هذه القوافل في أسواق الفيوم والبحيرة[1]، كذلك كانت هناك طرق تجارية تربط ليبيا بتشاد عبر واحات جالو، أجدابيا، أوجلة ثم الكفرة، وكانت تتفرع من هذه الطرق طريق أخرى تتجه إلى مرزق ثم إلى مناطق السودان العربي، كما كانت هناك طرق تجارية تربط ليبيا بدول حوض البحر المتوسط مثل: بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وتركيا ومالطا، وكانت تنقل البضائع القادمة من إفريقيا إلى هذه الدول عبر ليبيا، كما كانت تستورد منها العديد من البضائع، مثل: الملابس القطنية والمنسوجات وغيرها[2]، كما كانت ليبيا ممر طرق الحجيج القادم من دول المغرب العربي والمتجهة إلى الأراضي المقدسة، وقد اشتهر طريقين، الأول يبدأ من طرابلس حتى القاهرة، والثاني يبدأ من طرابلس ويتجه نحو سوكنة ثم الجغبوب ثم سيوة.

ومع وقوع ليبيا تحت السيطرة الإيطالية سنة 1911م أقيمت بعض الطرق المعبدة بالإسفلت للاستفادة منها في العمليات العسكرية وفي الربط بين المدن ونقل البضائع، فقد ربطت بنغازي بطريق معبد يتجه نحو الشرق حتى الحدود المصرية ثم ربطت بنغازي بطرابلس في عام 1938م حتى أصبحت الطرق المعبدة تغطي الساحل الليبي بمسافة ألف وثمانمائة وإثنان وعشرون كم، وقد وصلت الطرق المعبدة إلى الدواخل حتى سبها في الجنوب الغربي، وبعد قدوم المستوطنين الإيطاليين إلى ليبيا قامت الحكومة الإيطالية بتعبيد الطرق إلى مناطق استيطانهم لتشجيعهم على تطوير مستوطناتهم[3] الزراعية في طرابلس وبرقة، وقد بلغت تكاليف إنشاء الطرق خلال الفترة من 1913 إلى 1936م في برقة فقط سبعة وثمانون مليون وثلاثمائة وتسعون ألف ليرة إيطالية، وقد تم ربط إقليم برقة عام 1924م بشبكة واسعة من الطرق.

1- مصطفى عبد الله بعيو، دراسات في التاريخ اللوبي، مطابع عابدين، الإسكندرية، 1953، ص 198-199.

2- علي عبد اللطيف أحميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا -دراسات في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار-، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1995م، ص 119.

3- غوليام ناردوتشي، استيطان برقة قديما وحديثا، المرجع السابق، ص 178.

كما أن السلطات الإيطالية ركزت اهتمامها منذ اللحظة الأولى على تطوير الموانئ الليبية عموما، وذلك لاعتمادهم عليها في عملية النقل العسكري، وقد حظي ميناء طرابلس[1] بعناية خاصة من قبل الإيطاليين باعتباره أكبر الموانئ في ليبيا لهذا قاموا بتنفيذ سلسلة من الأعمال والإنشاءات لتطويره حتى يصبح قادرا على استقبال السفن الكبيرة وذلك منذ 1914م، ثم بعد ذلك ميناء طبرق ودرنة، حيث قامت بأعمال توسعة في هذه الموانئ ، وأقيمت الحواجز وعملت على ربط الموانئ الليبية ببعضها البعض، كما ربطت هذه الموانئ بالموانئ الخارجية مع إيطاليا ودول البحر المتوسط، وقد بلغت قيمة ما أنفق على بناء الموانئ في ليبيا ما بين عامي 1913-1941م مليوني وسبعمائة ألف جنيه إسترليني، وبذلك بدأت السفن والبضائع تصل إلى الموانئ الليبية وكذلك تنقل المنتجات الزراعية من ليبيا عبر هذه الموانئ، وقد كان لمصرف روما دور في الإنفاق على تطوير هذه الموانئ، وساهم في زيادة حركة التبادل التجاري بين ليبيا وإيطاليا.

ب- الصناعة: لقد أدخل الإيطاليون الصناعة الحديثة إلى ليبيا[2] وقد ركزوا على الصناعات التي تعتمد على المواد الخام المحلية، وقد دعمت الحكومة الإيطالية هذا الاتجاه حيث قدمت الدعم المالي في شكل منح وقروض وتسهيلات ضريبية وشجعت على إقامة المصانع مما ألحق الضرر بالصناعات المحلية بسبب المنافسة القوية من المصانع الحديثة.

ومن أهم الصناعات التي اشتهرت خلال العهد الإيطالي صناعة التونة حيث دخلت شركات تجارية إلى البلاد واستخدمت السفن والبواخر الحديثة لصيد الأسماك وأغرقت السوق بإنتاجها وأرسلت الفائض إلى إيطاليا، كذلك دخلت إلى البلاد صناعة النبيذ والبيرة والتي اعتمدت في صناعتها على محصول العنب والشعير، وقد اشتهرت في هذا المجال عدة شركات إيطالية مثل: شركة "بيراسيرين Birr Cirin"[3]، و"بيراويا Birr Oea" وذلك لسد حاجة المستوطنين الإيطاليين، ولقد لقيت هذه الصناعة ازدهارا قويا ونافس حتى صناعة النبيذ في إيطاليا، كما تمت الاستفادة من بقايا الشعير في صناعة الورق، حيث أنشئت مصانع لهذا الغرض.

كذلك أنشئت العديد من المصانع لعصر الزيتون لاستخراج الزيت استخدمت فيها احدث الآلات، كما طورت الحكومة الإيطالية الصناعة الجلدية فأدخلت المذابح الحديثة التي أنتجت جلودا عالية الجودة أثرت سلبا على

1- حسن مسعود أبو مدينة، الموانئ الليبية، الشركة الاشتراكية للموانئ، مصراته، 2000م، ص 114-115.

2- محمود الشنيطي، قضية ليبيا، المرجع السابق، ص 128.

3- أوريدة صالح محمد، الصناعات الخفيفة في إقليم برقة إبان العهد الفاشي في ليبيا (1922-1941م)، قسم التاريخ، جامعة بنغازي، ص 04.

الدباغين المحليين ، كما أدخل الإيطاليون آلات حديثة لتطوير بعض الصناعات الأخرى مثل صناعة الصوف والأقمشة والإسفنج والتي كانت تعتمد على المواد المتوفرة في ليبيا، كذلك اهتم الإيطاليون بصناعة المعادن الثمينة مثل الذهب والفضة إلا أنها كانت ضئيلة جدا وكانت متركزة في يد عدد قليل من الحرفيين أغلبهم من اليهود، وتركزت صناعة الذهب والفضة في إقليم برقة في المدن الكبرى مثل بنغازي ودرنة والمرج، وحسب تقديرات المصادر الإيطالية فقد وجدت ثلاثمائة وأربعة وتسعون شركة خاصة كان يملكها إيطاليون[1]، كما أدخل الإيطاليون صناعات جديدة كخراطة المعادن[2]، وقد قدروا تسعمائة صاحب حرفة ليبي في المصانع الإيطالية في ليبيا مقارنة بعدد الحرفيين الإيطاليين الذي بلغ ستمائة وثمانية وثمانون. وبذلك فقد أدخلت الصناعة الحديثة لأول مرة في تاريخ البلاد، حيث أقيمت المصانع الكبيرة مثل مصنع التبغ عام 1923م[3]، والملاحظ أن الإيطاليين قد سيطروا على الصناعة في البلاد وذلك بامتلاكهم واحدة وثمانون في المائة من عدد المنشآت وذلك راجع إلى ضعف رأس المال الليبي.

المبحث الثاني: النتائج السياسية والعسكرية للسياسة الاستعمارية.

رأينا فيما سبق أن عددا كبيرا من الليبيين هاجروا خوفا من بطش السلطات الإيطالية[4]، وكذلك بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية في البلاد، وسنحاول من خلال هذا المبحث التعرف على النشاط السياسي والعسكري الممارس من طرف المهاجرين خارج ليبيا دعما للقضية الليبية بدءا بالدور الإعلامي لكسب عطف وتأييد العالم وتشكيل لجان وجمعيات سياسية في الخارج[5]، كما بدأوا في تدريب وحدات عسكرية للمشاركة في القتال لتحرير بلادهم وهذا ما سنلاحظه في هذا الحديث المفصل.

1) نشاط المهاجرين الليبيين في مصر:

هاجرت أعداد كبيرة من الليبيين إلى مصر لكن من دون تحديد الإحصاء الدقيق، وبدأوا في ممارسة نشاطهم، وأرسلوا أبنائهم في المدارس المصرية وخاصة الأزهر الشريف، لينهلوا من الثقافة الإسلامية المعادية للاستعمار، كما كان قد ظهر في مصر الفكر العربي القومي المناهض للاستعمار في تلك الحقبة، وكان من بين

1- أوريدة صالح محمد ،المرجع السابق، ص 20.

2- رسام راشد، طرابلس العرب في الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص 124.

3- أوريدة صالح محمد، المرجع السابق، ص 21.

4- محمود الهادي أبو عجيلة، دور الحركة الوطنية الليبية في الكفاح ضد الأطماع الأجنبية في ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية، مجلة السائل، جامعة 07 أكتوبر، كلية الآداب، مصراته، ليبيا، ص 110.

5- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي – التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص 29.

الذين هاجروا الشخصيات القيادية وزعماء الجهاد الذين كانوا يحرضون ضد إيطاليا، فقد قام بعضهم بنشر فظائع إيطاليا[1]، وحاولوا فضح وجهها الحقيقي للعالم في الصحف المصرية "كأحمد المريض" و" أحمد السويحلي"[2]، كما اتفق أغلب المهاجرين الليبيين في مصر على منح القيادة "لإدريس السنوسي" وتعيينه كزعيم لكل الليبيين في المهجر، هذا لا ينفي معارضة البعض منهم "كأحمد المريض" و"أحمد السويحلي" خاصة أنهم كانوا زعماء في جمعية الدفاع الطرابلسية والتي كانت تمارس عملها السياسي سريا[3] ضد الإيطاليين منذ سنة 1977م، فقد كانت تحاول أن تنقل كل ما يجري في ليبيا للمهاجرين عن طريق الصحف المصرية وخطباء المساجد، كما قام زعماء الجمعيات السرية بجمع التبرعات وإرسالها إلى المجاهدين في برقة.

كان المهاجرون الليبيون في مصر يشكلون مصدر قلق للحكومة الإيطالية، فكانت تحاول القضاء عليهم بشتى الطرق، فخلال أزمة الحبشة سنة 1935-1936م انتهز المهاجرون الفرصة وكثفوا جهودهم للدعاية ضد إيطاليا وفضح وحشيتها[4]، فقد أعلن الزعيم "إدريس السنوسي" استعداده التام لمحاربة الاستعمار الإيطالي في حالة نشوب الحرب ما بين إيطاليا وبريطانيا وخاصة إذا أمدته الحكومة البريطانية والمصرية بالسلاح، كل ذلك أدى بالسلطات الإيطالية إلى تضيق الخناق على المهاجرين في مصر وخاصة الطلاب المتمدرسين في الأزهر، فقد صارت مصر كابوسا عظيما يقلق مضجع إيطاليا لأنها القاعدة الأساسية التي ينبعث منها النشاط السياسي والإعلامي ضد المستعمر[5].

كانت الجالية الليبية في مصر تساهم بنسبة أكبر في مقاومة المستعمر الإيطالي، فكثيرا ما كانوا يشيدون المهرجانات التي تلقى فيها القصائد الشعرية والخطب الحماسية التي تحث على الاستمرار وتشيد التبرعات المصرية لحركة المقاومة، كما قام المهاجرون بكتابة المقالات ونشرها عبر الصحف المصرية والتي تتحدث عن الجرائم الوحشية المرتكبة في حق الليبيين[6]، ولم تكن مهمة نشر هذه الأخبار سهلة فأحيانا تمنع الصحف المصرية من نشر نشر هذه الأخبار وفي بعض الأحيان تنشر تحت أسماء مستعارة خوفا من السلطات الإيطالية.

1- المرجع السابق، ص 112.

2- محمود الشنيطي، قضية ليبيا، المرجع السابق، ص 159. مجيد الخدوي، ليبيا الحديثة، المرجع السابق، ص 66.

3- الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة (1924-1952م)، المرجع السابق، ص 126.

4- علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2009م، ص 520.

5- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 14-15.

6- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، سيرة الزعيمين محمد إدريس السنوسي وعمر المختار، المرجع السابق، ص 234.

وتعدى النشاط السياسي للصحف إلى عقد اجتماعات سرية والاتصال بزعماء المهاجرين في بلاد الشام والتنسيق معهم، وكانت مناطق الصحراء الغربية بمثابة الأماكن المثالية لعقد هذه الاجتماعات[1]، كما أسس الليبيون في مصر نادي ثقافي رياضي اجتماعي سنة 1940م للتوعية بالقضية الليبية، كما تمت إقامة الندوات السياسية ومراسلة الهيئات الدولية مثل جامعة الدول العربية فأسمى هدف كان يسعى إليه هؤلاء المهاجرين هو تدويل القضية الليبية[2].

وأكبر عمل سياسي حدث في مصر هو تأسيس الجيش الليبي، فمع بوادر الحرب العالمية الثانية، أخذت الحكومة المصرية في تشكيل جيش من القبائل المصرية وبعض المهاجرين الليبيين في الصحراء الغربية تحت اسم "سرايا العرب"[3] وكانت مهمته حماية الحدود الغربية ومناطق التماس بين الإيطاليين في ليبيا والبريطانيين في مصر.

ففي سبتمبر 1939م طلبت الحكومة المصرية من مشايخ المهاجرين على الحدود الغربية لمصر الانضمام إلى سرايا العرب، إلا أن هؤلاء الزعماء لم يعطوا ردا للحكومة المصرية إلا بعد الاتصال بكل زعماء القبائل الليبية المهاجرة في كل الأراضي المصرية مثل الصعيد والبحيرة وغيرها للتشاور والاتفاق على رأي واحد، وبعد مراسلات عديدة بين الزعماء قرر الاجتماع في منزل الأمير "إدريس السنوسي" بالإسكندرية في 20 أكتوبر 1939م، استمر هذا الاجتماع لمدة ثلاثة أيام نتج عنه وضع الثقة في الأمير "إدريس السنوسي" وتسليمه القيادة في سبيل تحرير ليبيا، وتشكيل مجلس استشاري من القادة البرقاويين والطرابلسيين، وقد وقع على وثيقة الاتفاق حوالي إثنان وخمسون شيخا[4].

فخلال الحرب العالمية الثانية كان الأمير "إدريس "وزعماء برقة متحمسين أكثر للحرب ضد إيطاليا بالتحالف مع الانجليز عكس زعماء طرابلس الذين رفضوا خوض الحرب ضد السلطات الإيطالية ما لم يتحصلوا على ضمانات أكيدة من بريطانيا تضمن لهم استقلال بلادهم بعد الحرب[5]، وشاركهم في الرأي بعض زعماء برقة أمثال صفي "الدين السنوسي" وذلك لعدم ثقتهم في بريطانيا وأنها قد تهزم أمام إيطاليا في هذه الحرب، وستسوء علاقتهم أكثر بإيطاليا، أما زعماء برقة فكانوا دوما أعداء لإيطاليا لأنهم ذاقوا ويلات الاعتقال والقتل.

1- محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، المرجع السابق، ص 643.
2- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 374
3- نفسه، ص 379.
4- سالم الكبتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، ج1، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2012م، ص 42.
5- بروشين، المرجع السابق، ص 259.

وبعد أعلان إيطاليا الحرب على بريطانيا وفرنسا تضاعف نشاط المهاجرين الليبيين في كل الدول العربية التي كانت توجد بها أعداد كبيرة من المهاجرين[1]. ففي يوليو 1940م اتصل الأمير "إدريس"بالجنرال "ويفل Wavell" وأخبره باستعداد القبائل الليبية في مصر للمشاركة في الحرب إلى جانب بريطانيا، وقد دعا الكولونيل "برملو Bromlow" الأمير" إدريس" وكل الزعماء الليبيين في مصر إلى اجتماع، وقد وقع عقد هذا الاجتماع في "جاردن سيتي" بالقاهرة في 07 أوت 1940م وافتتح الاجتماع بكلمة من" الأمير إدريس" أبدى فيها استعداد الليبيين للانضمام إلى جنود الحلفاء وأن هذه الحرب تعد فرصة ثمينة لتحرير بلادهم، ثم ألقى الجنرال "ويلسون "كلمة تحدث فيها عن أهداف بلاده من إنشاء هذا الجيش وأنهم حريصون على أن ينال الليبيون حريتهم[2].

وقد تقدم بعض الحضور بثلاث شروط للحكومة البريطانية لكي يوافقوا على انضمامهم للجيش الليبي لا يقاتل إلا على الأرض الليبية وأخيرا أن تدفع بريطانيا وحلفائها الفدية[3] لمن يقتل من الجنود الليبيين في الحرب، وقد وافقت الحكومة البريطانية على المطلبين الأول والثاني ورفضت المطلب الخاص بالفدية.

حضر هذه الجلسة من الجانب المعرض لسياسة الأمير "إدريس" كل من "أحمد السويحلي" "والطاهر المريض" الذين وصلا متأخرين وقد انسحبا من الاجتماع ورفضا التوقيع عليه[4]، وقد ترتب على ذلك انقسام المهاجرين إلى قسم مؤيد للأمير "إدريس" وهم أهل برقة وعدد من سكان طرابلس وقسم معارض من بعض الزعماء الطرابلسيين، وانتهى هذا الاجتماع بعدة قرارات أهمها:

- وضع الثقة في بريطانيا والتحالف معها.
- الاعتراف "بإدريس السنوسي" أميرا على القطريين الطرابلسي والبرقاوي.

وبعد ذلك شرع الأمير "إدريس" في تشكيل الجيش[5]، وقد شكل لجنة من خمسة أعضاء كان مهمتها دراسة دراسة أمر تأسيس ما صار يعرف بـ "القوة العربية الليبية" والتي بدأت في 12 أوت 1940م بفتح مقار للتجنيد في القاهرة واتخذت الراية السوداء والهلال والنجمة البيضاء رمزا وعلما وطنيا وفتح مقر آخر للتجنيد في

1- المرجع السابق، ص ص 260-262.
2- محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 166.
3- نفسه، ص 167.
4- بروشين، المرجع السابق، ص 263.
5- إبراهيم فتحي عميش، المرجع السابق، ص 155.

الإسكندرية في 03 سبتمبر 1940م، وبدأت عمليات التدريب على الطريق الصحراوي بين القاهرة والإسكندرية[1]، وقد عين لقيادة تلك القوة الكولونيل "برملو" يعاونه عدد من ضباط الانجليز وبعض من الليبيين على رأسهم النقيب "عمر فائق" ضابط اتصال و"صالح لطيوش" وغيرهم ممن بذلوا مجهودات مضنية في جمع المتطوعين للقوة العربية الليبية حتى تم تشكيل خمسة كتائب ليبية مسلحة.

وبعد دخول القوات الإيطالية بقيادة "غرتسياني" داخل الأرض المصرية هزمت شر هزيمة على يد الانجليز[2] ووقوع آلاف الجنود الإيطاليين وأعداد كبيرة من الليبيين الذين جندوا مع إيطاليا في الأسر، اتصل الأمير "إدريس" يبعضهم محاولا إقناعهم للانضمام للقوة العربية الليبية، كما أخذ الليبيون عن طريق بعض ال وبالفعل أخذوا في الانضمام إلى قوات الحلفاء متى تسنى لهم ذلك[3]، فقد لعبت القوة العربية الليبية دورا كبيرا في الحرب العالمية الثانية داخل الأراضي الليبية، وفي شتاء 1942م تمكنت القوات البريطانية من أحكام السيطرة على برقة ثم طرابلس في 23 يناير.

2) النضال الليبي في تونس:

فبحكم الجوار ما بين ليبيا وتونس دخل الكثيرون من التونسيين إلى ليبيا بعد وقوع بلدهم تحت وطأة المستعمر الفرنسي، كذلك هاجر عدد كبير من الليبيين إلى تونس ومنذ الحكم العثماني[4]، وازدادت مع الاستعمار الإيطالي، إلا أن العمل السياسي لليبيين في تونس لم يبدأ إلا في سنة 1929م عندما تأسست أول هيئة للعمل السياسي وذلك للمراقبة المكثفة من قبل الحكومة الفرنسية وعدم وجود شخصية بارزة كشخصيات رأيناها في مصر، وكذلك لسوء الأوضاع الاقتصادية التي عانى منها المهاجرون وتفرقهم في العديد من المناطق في تونس[5].

فبالحديث عن تونس، تم إطلاق اسم اللجنة التنفيذية للجالية الطرابلسية البرقاوية على الهيئة الجديدة، وكانت في البداية بدون رئيس ولكن يدير أمورها "أحمد زارم"، وكانت هذه الهيئة على اتصال مع نظيرتها في دمشق

1- المرجع السابق، ص 158.

2- ئي.آ.ف دي كاندول، الملك إدريس عاهل ليبيا -حياته وعصره، ت: محمد عبده بن غلبون، مانشستر، 1989م، ص 65.

3- المرجع نفسه، ص 66.

4- إبراهيم أحمد أبو القاسم، المهاجرون الليبيون بالإيالة التونسية (1861-1881م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1996م، ص 29-30.

5- ارويعي محمد علي قناوي، الشيخ عبد الحميد بن باديس وكفاح الشعب الليبي ضد الاحتلال الإيطالي (1911-1939م)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا، ص 08.

وصارت تنقل أخبار الليبيين عبر الصحف التونسية من معاناة وتقتيل ونفي للأبرياء، كما قام المهاجرون الليبيون بصلاة الغائب على روح "عمر المختار" وخصصت له الصحف التونسية أعمدة تحكي عن بطولاته.

وقد ساهمت مثل هذه المناسبات في انضمام عدد كبير من الليبيين إل هذه الجمعية، وفيما بعد تم تغيير اسم هذه الجمعية إلى جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة بتونس، قامت هذه الجمعية بتوزيع نسخ كثيرة من كتاب "الفظائع السود الحمر"[1] الذي أعدته لجنة دمشق على العديد من المنظمات السياسية في تونس، كما نشرت الجمعية مقالات في الصحف التونسية تحذر فيها الليبيين من العودة إلى ليبيا وألا يستمعوا إلى الدعاية الفاشستية التي تستدرجهم إلى ليبيا بغية القضاء عليهم.

ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية، بدأت السلطات الفرنسية بالاتصال بزعماء جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة بتونس لمعرفة موقفهم، وعندما أكدوا لها استعدادهم التام للقيام بأي عمل ضد إيطاليا، سمحت لهم بالاتصال بجميع الليبيين بتونس وتم التنسيق مع عدد كبير من الليبيين للقيام بعمل عسكر إلى جانب الفرنسيين[2]، وتم تغيير اسم اللجنة من جديد إلى جمعية التوادد والتعاضدين المهاجرين المسلمين بتونس بناء على طلب من السلطات الفرنسية، وبدأ الاستعداد للانضمام إلى القوات الفرنسية عند قيام الحرب ولكن سرعان ما تحطمت آمالهم عندما اجتاحت القوات الألمانية لفرنسا خلال الحرب[3].

من خلال كل الحديث الذي مر بنا رأينا أن النشاط السياسي للمهاجرين الليبيين كان نشطا مما شكل خطرا على السلطات الإيطالية وبدورها انتهجت مختلف السياسات من بطش وعنف ضد المجاهدين الليبيين.

3- الموقف العسكري والسياسي في الداخل:

أ- نتائج السياسة الإيطالية على المنطقة الغربية: لقد نتج عن سياسة البطش والعنف التي انتهجتها إيطاليا ضد المجاهدين أن نجحت في الاستيلاء على المنطقة الغربية في البلاد بعد أن بثت الفتن والصراعات بين الزعماء الليبيين، كما قامت بتجنيد العديد كقادة في الصفوف الإيطالية ضد المجاهدين وجعلتهم يقاتلون إخوانهم الليبيين[4]، ومع بداية سنة 1928م ركزت القوات الإيطالية على أن تصل أراضي طرابلس ببرقة من خلال احتلالها

1- محمد الهادي أبو عجيلة، ذو الحركة الوطنية في الكفاح ضد الأطماع الأجنبية في ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية، المرجع السابق، ص 112.

2- بروشين، المرجع السابق، ص 260.

3- المرجع نفسه، ص 261.

4- رودولفو غراتسياني، إعادة احتلال فزان، ت: عبد السلام باش الإمام، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993م، ص 119.

لمناطق النوفلية، العقلية، أجدابيا، كما ركزت على إعادة احتلال الواحات الجنوبية[1]، ونتج عن هذه السياسة وقوع عدة معارك غير متكافئة، ومن أهم تلك المعارك:

1) معركة تاقرفت (25 فبراير 1928م): وقعت في الجنوب الغربي من ليبيا شمال غرب مدينة زلة بحوالي خمسة وسبعين كيلومتر، وفي هذا الموقع يوجد بعض الأشجار الصحراوية وبعض آبار المياه وكان المجاهدون قد انسحبوا إلى هذا الموقع بعد سقوط مدينة زلة في يد الإيطاليين، وداهمتهم بعد ذلك القوات الإيطالية في هذا الموقع وكان يقدر عددهم والتي ثلاثمائة وخمسة وثلاثون مجاهدا[2]، بالإضافة إلى الأهالي، ولكن المجاهدين دافعوا بكل قوتهم عن الأهالي ونصبوا الكمائن للقوات الإيطالية بالاختباء وراء الأشجار الصحراوية والكثبان الرملية[3]، الشيء الذي ساعدهم على الالتفاف والإحاطة بالقوات الإيطالية فسقط قائد الطليعة الأولى من القوات الإيطالية النقيب "فايرى" قتيلا، كما سقط عدد كبير من المجندين في القوات الإيطالية من الليبيين والإرتريين، وكان سيكون الفوز في المعركة من نصيب المجاهدين لولا تدخل الطيران في المعركة مما أسقط عددا كبيرا من الشهداء في صفوف الليبيين[4]، ورغم ذلك أجبر "غراتسياني" قائد القوات الإيطالية على العودة إلى الشمال بعد مقتل خمسة من كبار قادته وعدد من الجنود وجرح حوالي مئة وخمسة وستون، واتجه من تبقى من المجاهدين إلى جبال الهاروج.

2) معركة قارة عافية (1928/10/30م): عسكر حوالي ثمانية آلاف مجاهد في منطقة بئر عافية للانتقام من القوات الإيطالية لما قامت به في معركة تاقرفت[5]، فتحركت القوات الإيطالية التي كانت متواجدة في مدينة هون وعسكرت جنوب المدينة حوالي عشرون كم، وهو الموقع الذي دارت فيه المعركة، وذلك بعد الهجوم الليلي الذي قام به المجاهدون، واستمر القتال لساعات، ففي البداية كان النصر من حليف المجاهدين إلى أن نفذت الذخيرة واضطروا إلى الانسحاب من موقع المعركة خوفا من قصف الطائرات الإيطالية وتقسموا إلى فرق صغيرة حتى لا يكونوا هدفا سهلا للإيطاليين[6]، واستمرت القوات الإيطالية في تتبع آثار المجاهدين حتى اجتازوا الحدود الليبية، فأحكم "غراتسياني "قبضته على الجنوب الغربي من ليبيا وغادر فزان في 1930/02/24م إلى طرابلس ثم إلى روما ليكلف نائبا للوالي الإيطالي في برقة.

1- رودولفو غراتسياني، المرجع السابق، ص 113.

2- عمرو سعيد بغني وآخرون، معركة تاقرفت، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م، ص 59.

3- رودولفو غراتسياني، نحو فزان، ت: طه فوزي، مكتبة الصايغ، 1976م، ص 341.

4- عمرو سعيد بغني وآخرون، المرجع السابق، ص 71.

5- رودولفو غراتسياني، نحو فزان، المرجع السابق، ص 382.

6- نفسه، ص 393.

ب- نتائج السياسة الإيطالية على المقاومة في برقة:

عندما قامت إيطاليا بتطبيق سياستها بجمع الأهالي وحشرهم في المعتقلات، بعد أن كان لهم دور كبير في إمداد المجاهدين بما يحتاجونه من مؤن وأسلحة،قامت أيضا بغلق الحدود مع مصر والتفت حول الجبل الأخضر واحتلت الكفرة، مما جعل المجاهدين بمن فيهم "عمر المختار" لا خيار لهم سوى إشهار السلاح في وجه العدو، فمثلا "عمر المختار" خاض حوالي ثلاث وخمسون معركة رئيسية، ومائتان وعشرة اشتباكا ضد "غراتسياني" في الفترة ما بين مارس 1930م حتى سبتمبر 1931م[1]، كما عانى المجاهدون من نقص المؤن والإمدادات العسكرية، إذ لم تتعدى قوة "عمر المختار" خلال هذه الفترة ألف مقاتل وكانت في تناقص مستمر، لكنهم كانوا مصممين على النصر أو الاستشهاد، خلاف الجيوش الإيطالية التي كانت أعدادها كبيرة جدا حتى أن الحكومة الإيطالية زجت بحوالي تسعين ألف جندي إلى ليبيا لاستبدال جنودها الذين أصابهم الذعر والملل.

كما عمل" غراتسياني "على جلب أعداد من الارتريين[2]،واستخدمت إيطاليا في هذه الفترة سلاح الطيران بنسبة كبيرة لتقليل حركة المجاهدين[3]، وقد أعلنها حاكم ليبيا "بادليو" بكل صراحة حين قال: "إذا ما أرغمت على القتال فإنني سوف أخوضها حربا شعواء بأساليب مختلفة ووسائل جبارة تبقى ذكراها عالقة بالأذهان ... إنني جازم على تحطيم كل شيء رجالا وأرزاقا ومتاعا"، وبالفعل نفذ ما أراد عن طريق "غراتسياني" الذي اختير لأداء مهمته، وخوفا من الفشل فقد حشد "غراتسياني" حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل للتصدي لعدد قليل من المجاهدين، وفي هذا الإطار قام سلاح طيران الإيطالي بغارة جوية على موقع المجاهدين بقرية قندولة بالجبل الأخضر في مارس 1930م وتصدى المجاهدون لهذه الغارة وأسقطوا واحدة من الطائرات الإيطالية وأسر قائدها الملازم "بياتي" ومساعده "هوبرى"[4]، وفي اليوم التالي حاولت القوات الإيطالية فك أسر طاقم الطائرة لكنها تعاركت مع المجاهدين من الساعة السابعة صباحا حتى حلول الظلام قتل خلالها عدد كبير من الجنود الاريتريين فتحصل المجاهدون على غنائم وأسلحة كثيرة بعد الهزيمة التي تعرض لها الإيطاليون[5].

1- نيقولا زيادة، برقة الدولة العربية الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت، 1950م، ص 108.
2- منصور علي الشينوي، الغزو الإيطالي لليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1970م، ص 92.
3- رودولفو غراتسياني، برقة الهادئة، المرجع السابق، ص 64.
4- يوسف البرغثي، موسوعة روايات الجهاد رقم 22، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1990م، ص 176.
5- نفسه، ص 42.

وفي 11 أبريل 1930م تمكن مائتي فارس من المجاهدين من مهاجمة الفرقة السادسة والمكونة من حوالي مائتين وخمسون من المجندين الليبيين في جنوب قرية الفيدية بالجبل الأخضر وتمكنوا من هزيمتهم شر هزيمة واعتبرت هذه الهزيمة صدمة ل"غراتسياني" وقضت على أسطورته العسكرية والذي اعترف بنفسه بهذه الهزيمة[1]، وفي 19 سبتمبر 1930م وقعت "معركة الأثرون الأولى" عندما داهمت القوات الإيطالية المتواجدة في مدينة شحات دور المجاهدين الذي كان يقوده" الفضيل أبو عمر"، إلا أن قوات المجاهدين استطاعت التصدي للقوات الإيطالية، وفي صباح اليوم التالي 20 سبتمبر 1930م، تحركت القوات الإيطالية مرة أخرى نحو المجاهدين بعد أن وصلتها الأرتال العسكرية من المرج والقبة وسوسة وشحات، وأرغم المجاهدون على منطقة وعرة بوادي الأثرون عجزوا حتى عن استخدام الخيول فيها لشدة وعورتها ودافعوا عن أنفسهم بكل قوة حتى حل الظلام، وانسحبت القوات الإيطالية مخلفة وراءها العديد من الشهداء على رأسهم "الفضيل بوعمر" أحد قادة "عمر المختار"، حيث قطع رأسه الإيطاليون وأرسلوه إلى بنغازي[2]، حتى أن "غراتسياني" فرح بذلك فرحا عظيما وأقر بقوله أن مقتل "بوعمر" قد أنسانا هزيمتنا، وفي المقابل حزن "عمر المختار" حزنا شديدا على من كان يعتبره يده اليمنى في كثير من الأمور السياسية والعسكرية.

ومن أهم المعارك التي خاضها المجاهدون في هذه الفترة "معركة السانية" 1930/10/08م وقعت هذه المعركة في وادي السانية القريب من البحر، وهذا الوادي كثير الغابات ويعد من الأماكن التي لم تتجرأ القوات الإيطالية على الاقتراب منه أو الدخول، وبناء على ذلك اتخذه "عمر المختار" مقرا لإدارته مدة طويلة، وفي يوم 1930/10/05م تعرض المجاهدون إلى عملية تطويق من الإيطاليين[3] وكان عدد المجاهدين حوالي ثلاثمائة مقاتل منهم مائة فارس فقط، وبعد معركة استمرت ليومين 5-6 من شهر أكتوبر سقط خلالها من عشرين إلى ثلاثين شهيدا[4]، انسحب بعدها المجاهدين شمالا إلى وادي السانية حيث الغابات الكثيفة والمياه المتوفرة، واعتقد المجاهدون أنهم نجوا بأنفسهم، إلا أن أحد الجواسيس الليبيين من تلك المنطقة أوشى بمكانهم إلى القوات الإيطالية، وتمت محاصرتهم من طرف الإيطاليين مع حلول الصباح، شبت معركة عنيفة بين الطرفين، وأصيب جواد "عمر المختار" في هذه المعركة لكن المجاهدين بذلوا وسعهم في سبيل إنقاذ "عمر المختار "وتمكن المحاربون الشجعان في الأخير من

1- رودولفو غراتسياني، برقة الهادئة، المرجع السابق، ص 160.
2- نفسه، ص 171.
3- خليفة التليسي، المرجع السابق، ص 508.
4- رودولفو غراتسياني، المرجع السابق، ص 172.

إلحاق الهزيمة بالقوات الإيطالية[1] وغنموا العديد من الأسلحة والذخائر كما خسروا عددا كبيرا من الشهداء. ولاحقوا القوات الإيطالية المنسحبة حتى احتمت بأسوار مدينة المرج، واعترف "غراتسياني" بفشل قواته في هذه المعركة[2].

وفي شتاء 1930م هاجم المجاهدون مركز عين الغزالة بالقرب من مدينة طبرق وقد تعاون الأهالي المستسلمين للإيطاليين مع المجاهدين في هذه المعركة، السبب الذي جعل الحكومة الإيطالية تضع الأهالي داخل معتقل عين الغزالة[3].

وفي 11 سبتمبر 1931م نشبت معركة "وادي الطاقة" وعرفت أيضا بمعركة سلنطة نسبة إلى الموقع الذي وقعت فيه، وفي هذه المعركة تم إلقاء القبض على "عمر المختار" بعد إصابته أثناء القتال، فبعد المعركة التي تحدثنا عنها سالفا (السانية) تم تشديد الخناق على المجاهدين[4]، وأصبح أكلهم من الأعشاب وبعض ثمار الأشجار البرية، اجتمع "عمر المختار" برجاله لدراسة الأمر، فطلب منهم بعض المقاتلين إما إنهاء الحرب أو الهجرة إلى مصر، لكن "عمر المختار" لم يفرض عليهم البقاء وإنما خيرهم إما بالبقاء أو الذهاب إلى حيث يريدون، أما هو فوعدهم بالبقاء والاستمرار في القتال إلى آخر رمق وحتى الاستشهاد في سبيل الله.

ومرت الأيام و"عمر المختار" ورجاله في معاناة كبيرة من حيث الجوع والعراء ونقص الذخيرة، وتناقص عدد المقاتلين بالإضافة إلى تجنيد إيطاليا عدد كبير من الجواسيس لتعقب المجاهدين، وعندما كان "عمر المختار" في سرية تتكون من سبعين مجاهدا يقوم بجولة في منطقة واد الكوف لتفقد أدوار المجاهدين هناك، كما كانوا ينتظرون قدوم قافلة من مصر فأرسل حوالي ثلاثين فارسا لاستطلاع أمر القافلة[5] وبقي هو رفقة أربعين مجاهدا، وقد اكتشف بعض الجواسيس ذلك فأبلغوا السلطات الإيطالية، فتحركت هذه القوات في الحال إلى الموقع، ومع مطلع فجر 1931/09/11م[6] قامت هذه القوات بمحاصرة "عمر المختار "بدعم من الطائرات وكانت طبيعة الأرض وعرة وغير ملائمة لحركة الخيول وأمر "عمر المختار" أحد رجاله وهو "محمد عبد الكريم" باعتباره من أهل المنطقة

1- محمود فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المرجع السابق، ص 309.
2- رودولفو غراتسياني، المرجع السابق، ص 171.
3- خليفة التليسي، معجم معارك الجهاد، المرجع السابق، ص 370.
4- نفسه، ص 503.
5- محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، المرجع السابق، ص 142.
6- خليفة التليسي، معجم معارك الجهاد، المرجع السابق، ص 503.

أن يرشدهم إلى أرض سهلة تساعدهم على استعمال الخيول، وقد أخبره" عبد الكريم العريفي" أنه يوجد مخرج واحد من هذا الوادي، وعندما اتجهوا نحوه وجدوا القوات الإيطالية في انتظارهم، فما كان أمامهم سوى الدخول في معركة عنيفة مع الإيطاليين وبالفعل تمكنوا من الخروج من الوادي بقوة السلاح، ولكنهم فوجئوا بقوة أخرى مدعمة بالطائرات وكان عدد المجاهدين لا يزيد عن أربعين مقاتلا سقط بعضهم شهداء، ونفذت ذخيرة البعض وأصيب جواد "عمر المختار" فوقع والتف حوله مجموعة من الإيطاليين وألقوا القبض عليه، ونقل إلى بنغازي بعد أن دافع عن وطنه بكل قوته وأفدى بنفسه، حيث قال "غراتسياني": "... أنه شرف عظيم ودلالة قاطعة على التضحية والفداء أن أربعين أو خمسين مجاهدا يتمكنون من قتل خمسين جنديا إيطاليا من سلاح الفرسان وعشرين آخرين من سلاح المشاة"[1].

وبهذا تبين لنا أن الحكومة الإيطالية استطاعت أن تسيطر على ليبيا بمختلف الطرق من قوات أحضروها من إيطاليا وتجنيد الأشخاص من مستعمراتهم بالحبشة، وكذلك بتجنيد أعدادا كبيرة من الليبيين كجواسيس ومقاتلين في صفوفها من دون أن ننسى الرعاية الإعلامية التي اعتمدتها بنسبة كبيرة لإقناع العالم بأعمالهم في ليبيا، كما أغرت الإيطاليين بالهجرة إلى ليبيا كنوع من التغيير لسكان المنطقة[2]، كما طبق الأحكام التعسفية في حق المقاتلين الليبيين من أحكام بالإعدام على من يقع أسيرا وتصادر ممتلكاته للقضاء على الروح المعنوية للمجاهدين[3]، كما حاربت إيطاليا المجاهدين اقتصاديا بالقضاء على الثروات الحيوانية باعتبارها مصدر رزق ومصدر للغذاء ووسيلة للحرب والتنقل، ونتيجة لسياسة إيطاليا هذه اضطر المجاهدون للتنقل إلى المناطق الصحراوية الغير صالحة للزراعة، وقتل البعض وشرد البعض وحتى من كان في هضاب الجبل الأخضر لم يزرع أرضه، لأنه كان مطاردا من القوات الإيطالية في موسم الحرث والحصاد[4].

1- رودولفو غراتسياني، برقة الهادئة، المرجع السابق، ص 301.
2- هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر، المرجع السابق، ص 40.
3- المرجع نفسه، ص 96.
4- رودولفو غراتسياني، برقة الهادئة، المرجع السابق، ص 21.

من خلال دراستي لهذا الموضوع خلصت إلى النتائج التالية:

– إن هذه الحقبة التاريخية ميزتها مجموعة من الأحداث منذ أن تم إخضاع العديد من دول القارة الإفريقية للسيطرة الأوروبية وخاصة بعد أن ضعف الحصن الحصين للدول العربية، والذي تمثل في الدولة العثمانية الحامي الوحيد لهذه الدول خاصة ليبيا.

– ليبيا من الدول العربية التي تعرضت للاستعمار الأوروبي الغاشم قد كانت تحت السيادة العثمانية لأكثر من أربعمائة عام، إلا أن الأثر الذي تركه الغزو الايطالي كان جرحا يصعب اندماله، فقد سعت ايطاليا للسيطرة عليها فبدأت برسم سياستها الاستعمارية وذلك بالتغلغل في المجتمع الليبي اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا.

– لقد أثبتت الدراسة على أن الاستعمار الايطالي بدخوله إلى الأراضي الليبية شرع في التوغل قليلا إلا أن الحرب العالمية الأولى حالت دون ذلك، ما سنح لها في انتهاج أساليب جديدة تمثلت في المفاوضات وبذلك نجحت في توفير جهودها العسكرية وضمان بقائها في المنطقة.

– مارس الاستعمار الايطالي شتى أنواع الاستبداد والظلم والاضطهاد بفرض الحصار على المجاهدين والتضييق عليهم لإجبارهم على الاستسلام.

– بالرغم من سياسة البطش إلا أن استمرار المجاهدين جلي في دفاعهم عن قضيتهم ومقاومتهم مدعومين من طرف الزوايا الدينية والأهالي وعن طريق الحدود المصرية.

– برغم قلة العتاد والعدة إلا أن الشجاعة والصمود الذي تميز به المجاهدون والذين استمدوها من زعيمهم الروحي "عمر المختار".

– حكمة "عمر المختار"وحنكته العسكرية التي تجلت في تطبيقه لحرب العصابات التي كسر بها شوكة المستعمر.

– رغم كبر سن "عمر المختار" إلا أته لم يثنيه ذلك على المقاومة ليعطي بهذه الهزيمة والإصرار درسا لليبيين لمواصلة الجهاد.

– المقاومة السنوسية ومقاومة "عمر المختار"مقاومتين مكملتين لبعضهما،فكان سبيلهما الوحيد الإتحاد وطرد العدو والنيل منه.

– انتهاج سياسة التضييق بإغلاق الزوايا واحتلال واحة الكفرة وبناء بالأسلاك الشائكة على الحدود المصرية واعتمادها سياسة النفي إلى الجزر الايطالية النائية لإضعاف المقاومة إلا أن الشخصية الكاريزمية لها الأثر البالغ والفعال في تقوية عزيمة الليبيين وإصرارهم لمواصلة الجهاد.

– بالرغم من تأثر الليبيين بالسياسة الايطالية سواء أكان ذلك في قطاع التعليم وذلك بفتحهم لمدارس ايطالية وإدراجهم للغة الايطالية في جل المواد عدا القرآن أو بتأثرهم بثقافتهم بعد احتكاكهم بالمستوطنين إلا أنها فشلت لتشبع الشعب الليبي بالمبادئ الدينية والعربية.

كانت الهجرة مدرسة لليبيين فشكلت قواعد خلفية للدفاع عن قضيتهم مستمدين العون المادي والمعنوي من أشقائهم المسلمين وصمودهم ودفاعهم عن تراب وطنهم ساعدهم في نيل استقلالهم.

– ليبيا بصمود شعبها أمام أعتى أساليب الغرب الاستعماري قد أكدت لإيطاليا درسا لمكانة الأرض والإنسان ،والهوية التاريخية في بعدها العربي والإسلامي.

الملاحق

الملحق رقم 1: أحمد الشريف السنوسي قائد المقاومة السنوسية

مصطفى علي هويدي: المرجع السابق، 56.

الملحق رقم 2: الشيخ عمر المختار.

- دي كاندول، المرجع السابق، ص 86.

الملحق رقم 3: عمر المختار اثناء مفاوضات السلام في سيدي ارحومة

– أحمد الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص 135.

الملحق رقم 4: ليبيا جغرافيا

- الهادي قطش، اطلس الجزائر والعالم طبيعيا،بشريا،اقتصاديا،سياسيا،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر،2009،ص 87.

قائمة المصادر والمراجع

المـصـــادر والمراجع:

1- إبراهيم أحمد أبو القاسم ، المهاجرون الليبيون بالايالة التونسية (1861-1881)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1996م.

2 -إبراهيم فتحي عميش ، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، ج1، برنيق للطباعة والترجمة والنشر، ط1، 2008م.

3- أحمد الزاوي ، جهاد الليبيين في ديار الهجرة(1924-1952)، دار الفرجاني، طرابلس.

4- أحمد صدقي الدجاني ، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، دار لبنان، بيروت، 1967م.

5- إيفانز ريتشارد، ت:عمر الديداوي ،السنوسيون في برقة، ، مكتبة الفرجاني، طرابلس.

6- الطاهر الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط4، دار الفتح للنشر، بيروت، 1970م.

7- أنجيلو ديل بوكا ، على مقربة من المشنقة، منشورات ميلالي للترجمة العربية، فرنسا، 2007م.

8- أنزو سانتاريللي وآخرون، عمر المختار وإعادة الإحتلال الفاشي لليبيا، ت:عبد الرحمن سالم العجيلي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،طرابلس، 1988م.

9- أتيليو تروتسي ، ت:خليفة التليسي ،برقة الخضراء، ، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 2009م.

10- بشير السعداوي، فظائع الإستعمار الإيطالي الفاشستي في طرابلس، جمعية الدفاع عن طرابلس، برقة.

11- جلال يحي ، تاريخ المغرب الكبير، ج4، بيروت، 1981م.

12- هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر، أو التمدين بالحديد والنار من صفحات الاستعمار الإيطالي في ليبيا، ط2، القاهرة، 1948م.

13- هنريكو دي أغسطيني، ت: خليفة محمد التليسي ،سكان ليبيا، ، ج1، دار العربية للكتاب، .

14- طريح عبد العزيز ، جغرافيا ليبيا، مطبعة المصري، الإسكندرية، 1963م.

15- يوسف سالم البرغيثي ، المعتقلات والأضرار الناجمة عن الغزو الإيطالي لليبيا (عمر المختار نشأته وجهاده)، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1983م.

16- يوسف سالم البرغيثي ، حركة المقاومة في الجبل الأخضر(1927-1932)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.

17- كلود هلمبو ، ت:حامد محمد مراد ،رحلة في الصحراء الليبية، ،دار الفرجاني،طرابلس،1969م.

18- محمد الأخضر العيساوي ، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، ط1، مطبعة حجازي، القاهرة، 1936م.

19- محمد الطيب الأشهب ، عمر المختار-أبطال الجهاد والسياسة في ليبيا-، القاهرة، 1957م.

20- محمد الخدوري ، ت:نيقولا زيادة ، ليبيا(دراسة في تطورها السياسي)، ، دار الثقافة، بيروت، 1966م.

21- محمد أسد ، ت:سعد العربي ،الطريق إلى عمر المختار، ، ط2، مكتبة النهضة الليبية، بنغازي، 2012م.

22- محمد بن مسعود ، كأنك معي في طرابلس وتونس، ط1، مطبعة ماجي د، طرابلس، 1953م.

23- محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة، مركز الدراسات الليبية، إكسفورد، 2008م.

24- محمد فؤاد شكري ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها، المجلد 02، ج1، مطبعة الإعتماد، القاهرة، 1957م.

25- محمود الشنيطي ، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.

26- نيكولاي إيليش بروشين ، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى سنة 1969م، ت:عماد حاتم، تاريخ جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،طرابلس، 2005م.

27- نيقولا زيادة ، برقة الدولة العربية الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت، 1950م.

28- عقيل محمد البربار ، عمر المختار نشأته وجهاده، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، جامعة قار يونس،كلية الآداب والتربية، طرابلس، 1981 م.

29- فرانسيسكو كورو ، ت:خليفة التليسي ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ، دار الفرجاني، طرابلس، 1971م.

30- فرانسيس ماكولا ، ت:عبد المولى صالح الحرير ،حرب إيطاليا من أجل الصحراء-مشاهدات المراسل الحربي البريطاني مع الإيطاليين في طرابلس، ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م.

31- رودولفو غراتسياني ، ت:عبد السلام باش الإمام ، إعادة احتلال فزان، ، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993م.

32- رودولفو غراتسياني ، ت:سالم بن عامر ، برقة الهادئة، ، ط4،دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، 1998م.

33- رودولفو غراتسياني ، ت:طه فوزي ،نحو فزان ، مكتبة الصايغ، القاهرة، 1976م.

34- تي.آ ف. دي كاندول ، ت:محمد عبده ،الملك إدريس عاهل ليبيا -حياته وعصره- ، مانشستر، 1989م.

35- تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، دراسة تاريخية اجتماعية، الدار العربية، ليبيا، 1988م.

36- خليفة محمد التليسي ، معجم معارك الجهاد في ليبيا(1911-1931)، الدار العربية للكتاب، طرابلس ، 1983 م.

37- غوليام نادوتشي ، ت:إبراهيم أحمد المهدوي ، إستيطان برقة قديما وحديثا، ، الدار الجماهيرية، طرابلس، 1995م.

38- أحمد اسماعيل راشد ، تاريخ أقطاب المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار النهضة العربية، لبنان، 2004م

39- أحمد عاشور إكس ، لمحات تاريخية عن النضال الليبي المسلح، طرابلس، 1985م.

40- أحمد عطية مدلل ، التدخل الأجنبي في ليبيا(1881م-1915م)، ج2، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007م.

41- أحمد الزاوي الطاهر ، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، ط2، دار المدار الإسلامي،ليبيا،2004م.

42- أمين السعيد ، الدولة العربية المتحدة، ج3، مطبعة عيسى الحلبة، القاهرة، 1938م

43- حسن مسعود أبو مدينة، الموانئ الليبية، شركة الاشتراكية للموانئ، مصراتة، 2000م.

44- محمد عبد السلام الشلماني، شيء عن بعض رجال عمر المختار،مطابع الثورة العربية، بنغازي، 1981م.

45- محمد عمر التومي الشيباني، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، ادارة المطبوعات والنشر، جامعة الفتح، 2001م.

46- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي – التاريخ المعاصر -، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996م.

47- محمود شاكر، ليبية، الدار العلمية للنشر، لبنان، 1962م.

48- محمود شلبي، حياة عمر المختار، دار الجيل، بيروت، 1989م.

49- منصور علي الشينوي، الغزو الايطالي لليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1970م.

50- مصطفى حامد رحومة، المقاومة الليبية التركية صد الغزو الإيطالي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.

51- مصطفى حامد رحومة، التضامن العربي الإسلامي مع المقاومة الليبية صد الغزو الإيطالي(1911م-1931م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م.

52- مصطفى عبد الله بعيو، دراسات في التاريخ اللوبي، مطابع عابدين، مصر، 1953م.

53- مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.

54- مصطفى علي هويدي، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي (1911-1942)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998م.

55- نبيه زكريا عبد ربه، الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية، ط1، دار الثقافة، قطر، 1986م.

56- نيقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1958م.

57- سالم الكبتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، ج1، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2012م.

58- سامي حكيم، حقيقة ليبيا، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1986م.

59- عبد الرزاق مناع، جذور النضال العربي في ليبيا، ط2، بنغازي، 1972م.

60- عز الدين إسماعيل وآخرون، عمر المختار شيخ الشهداء، دار العودة، بيروت، 1975م.

61- عيسى جبران، أعظم الشخصيات في التاريخ(سياسي،علمية،إجتماعية،فلسفية،دينية)، مراجعة:عبد الجليل مراد، الأهلية، بيروت، 2008م.

62- علي الميلودي عمورة، ليبيا – تطور المدن والتخطيط الحضاري –، دار الملتقي، ط1، بيروت، 1992م.

63- علي حلمي معروف، شرقي وقضايا العصر والحضارة، ط2، دار النهضة العصرية، بيروت، 1981م.

64- علي محمد الصلابي، الشيخ الجليل عمر المختار(نشأته،وأعماله،واستشهاده)،دار الفكر، لبنان.

65- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، مصر، 2007 م.

66- علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2009م.

67- علي عبد اللطيف أحميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

68- عمرو سعيد بغني وآخرون، معركة تاقرفت، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م.

69- راسم راشد، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط1، طرابلس، 1953م.

70- رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، ط1، دار التنمية للنشر، بنغازي، 1972م.

71- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، القاهرة، 1977م.

72- تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، دراسة تاريخية،إجتماعية، الدار العربية، ليبيا، 1988م.

قائمة الرسائل الجامعية:

1- محمد علي قناوي اروبعي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس وكفاح الشعب الليبي ضد الاحتلال الايطالي (1911-1939)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا.

2- سعود دحدي، البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف مياسي إبراهيم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2000م.

3- عمار عبد الجليل أحتيوش، الجوانب النفسية والتنظيمية للإدارة المدرسية، دراسة تحليلية لطبيعة عمل الإدارة المدرسية في مرحلة التعليم الابتدائي بأمانة التعليم بالزاوية، رسالة ماجستير، ليبيا، 2005م.

4- ربيع محمد علي حامد الذرعاني، التغير في استخدام الأراضي الزراعية في مشاريع الاستيطان الزراعي في ليبيا – دراسة حالة سهل المرج – رسالة مكملة لمكملات درجة الإجازة العالية للماجستير، قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بنغازي، 2013م.

المـــجـــلات:

1- إبراهيم النعاجي، في ذكرى نفي الليبيين إلى الجزر الإيطالية، دنيا الوطن(صحيفة إلكترونية)، فلسطين، 2008م.

2- حسين بوشعالة، تاريخ الحركة الثقافية في ليبيا إبان الإحتلال الإيطالي،مجلة مصر الجديدة، 2009م.

3- ليلى علي العاتي،أحمد رافيدي صالح، أثر عمليات الهجرة على تغير التركيبة السكانية في ليبيا إبان الإحتلال الإيطالي(1911-1943)، المجلة العربية، معهد الدراسات الماليزية والدولية، العدد الثامن عشر، المجلد الثاني،ماي 2016م.

4- مجلة ليبيا المصورة، العدد الثالث، السنة الرابعة، ديسمبر 1938م.

5- محمد الهادي الحسني، الإمام أحمد الشريف السنوسي، جريدة الشروق اليومية، العدد 2391، الجزائر، 2008م.

6- محمود الهادي أبو عجيلة،دور الحركة الوطنية الليبية في الكفاح ضد الأطماع الأجنبية في ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية، مجلة السائل، جامعة 07 أكتوبر،كلية الآداب، مصراتة .

7- مسعود عبد الله مسعود،ملامح الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا أواخر العهد العثماني حتى الاحتلال الإيطالي، المجلة العربية، العدد الخامس عشر، جامعة الزاوية، 2013م.

8- صالح يوسف، "مراسلات الحسين-مكماهون"، مجلة السنة، العدد العشرون، القاهرة ليوم 30 أوت 1915م.

9- رفعت عبد العزيز، التضييق على عمر المختار، مجلة الوثائق والمخطوطات، السنة الأولى، العدد الأول، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1986م.

الموسوعات:

1-عبد الوهاب الكيلاني، الموسوعة السياسية، ج6، دار الهدى، بيروت، .

2- يوسف البرغثي، موسوعة روايات الجهاد، رقم 22، مركز جهاد الليبيين الدراسات التاريخية، طرابلس، 1990م.

فهرس الموضوعات

– مـــقدمـــة ..... **أ – د**

الفصل الأول: سياسة المفاوضات الإيطالية

المبحث الأول: تأثير الأوضاع الدولية على السياسة المبحث الإيطالية في ليبيا(1914–1919).....6

1- جهاد الليبيين والعثمانيين ضد ايطاليا.....7

2- المقاومة الليبية بزعامة "أحمد الشريف السنوسي".....7-11

3- انعكاسات الحرب العالمية الأولى على الاحتلال الإيطالي في ليبيا.....11- 12

4- إنطلاق المفاوضات في المنطقة الغربية.....12-13

أ– مفاوضات خلة الزيتون"صلح سواني بنيادم".....13-14

ب– القانون الأساسي لطرابلس.....14-15

المبحث الثاني: التفاوض مع الأمير إدريس السنوسي(1916–1922).....16-18

1- إتفاقية عكرمة 1917م.....18-19

2- القانون الأساسي لبرقة 1919م.....19-20

3- إتفاقية الرجمة 1920م.....20-21

4- إتفاقية بومريم 1921م.....21-23

المبحث الثالث: المفاوضات الإيطالية مع عمر المختار(1923–1931).....24

1- حياة "عمر المختار" الجهادية.....24-26

2- معركة بئر الغبى 26

3- نضال "عمر المختار ضد الاحتلال الإيطالي.....27-29

4- بداية المفاوضات.....30-32

5- إستراتجية "غراتسياني"في مواجهة المقاومة الليبية.....32

الفصل الثاني: السياسة الإيطالية مابين الحربين العالميتين في ليبيا

المبحث الأول: سياسة التضييق على المقاومة.....35

1- إستراتيجية "غراتسياني الاستعمارية في ليبيا.....35-37

2- إغلاق الزوايا.....37-38

3- حشر أهالي برقة في المعتقلات الجماعية.....38-39

4- مراكز التجميع المؤقتة.....39-42

5- احتلال الكفرة.....42-45

المبحث الثاني: سياسة النفي إلى سجون الجزر الإيطالي.....45

1- ظاهرة النفي أسبابها وتطورها.....45-50

2- أهم الجزر الإيطالية التي نفي إليها الليبيون.....50-52

3- أحوال المنفيين في السجون الإيطالية.....52-54

الفصل الثالث: انعكاسات السياسة الاستعمارية الإيطالية على ليبيا

المبحث الأول: النتائج الاجتماعية والاقتصادية للسياسة الايطالية.....56

1- أثر الغزو الايطالي على قطاع التعليم.....57-61

2- تأثيرات الثقافة الايطالية على ليبيا 61-63

3- هجرة الليبيون إلى خارج الوطن 63-65

4- الاستيطان البشري الايطالي في ليبيا 65-68

5- تأثير السياسة الايطالية على التجارة والصناعة 68

أ- التجارة 68-69

ب- الصناعة 69-71

المبحث الثاني: النتائج السياسية والعسكرية المترتبة على السياسة الاستعمارية.....72

1- نشاط المهاجرين الليبيين في مصر 72-76

2- النضال اليبي في تونس 76-77

3- نتائج السياسة الايطالية على المنطقة الغربية 76

أ- معركة تاقرفت 1928م 78

ب- معركة قارة عافية 1928م 78

4- نتائج السياسة الايطالية على المقاومة في برقة 79-82

- خـــاتـمـة 83-84

- مـــلاحـــق

- قائمة المصادر والمراجع

- فهرس الموضوعات

ملـخــص الــرسـالة

تحتل إيطاليا وليبيا مركزا محوريا في حوض البحر المتوسط قاد البلدين إلى الارتباط الوثيق عبر العصور التاريخية، بأشكال متعددة اقتصادية، ثقافية واستعمارية،وبحكم أن إيطاليا كانت آخر الدول الأوروبية التي دخلت مجال التوسع الاستعماري، لم تجد سوى ليبيا آخر الولايات العثمانية في شمال إفريقيا بحكم موقعها الإستراتيجي مما جعلها هدفا رئيسيا للسياسة الاستعمارية الإيطالية.

سلطت هذه الدراسة الضوء على مسار ايطاليا الاستعماري بدءا بإتباعها أساليب عديدة تمثلت في التوسع والاستمرارية وحرصها على المساس بالهوية الليبية وشخصية شعبها التاريخية لإضعاف معنويات الليبيين وتكبيل إرادتهم للتخلي عن فكرة التحرر،لذلك وجدت ردود فعل شعبية تمثلت في أعظم مقاومتين وهما مقاومة "الحركة السنوسية"و مقاومة "عمر المختار"وهو ما جعلها تنتهج أساليب جديدة للقضاء عليها في سلسلة من السياسات اختلفت باختلاف مراحل المقاومة.

وقد ترتب على هذه السياسة نتائج ملموسة على جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية،مما أدى إلى تغير ملحوظ في النسيج الاجتماعي للمجتمع الليبي وتأثير الصناعات الايطالية على الصناعات المحلية إضافة إلى انتقال المقاومة إلى خارج البلاد لكن في إطار سياسي يقوم على محاربة ايطاليا عن طريق الجمعيات السياسية والمؤتمرات وغيرها.

خلصنا في نهاية هذه المذكرة أن الاستعمار الايطالي بالرغم من استخدامه كل ماله من بشاعة ووحشية للسيطرة على ليبيا إلا أنها فشلت نتيجة صمود الشعب الليبي وإيمانه بقضيته.

Abstract

Basically, both of Italy and Libya occupy a central position in the Mediterranean Basin. Through history, they entered in close ties in various forms economically, culturally and even colonially. The strategic location of Libya was the direct cause behind the Italian colonization of it.

The present thesis examines the Italy's colonial route in Libya, starting from scrutinizing the diverse practices and methods it did so as to destroy the Libyan identity and thus erase the Libyan people personality and history. It shed light also on the Libyan popular resistances movements against the Italian colonization which embodied in "Senoussi" and " Omar El-Mokhtar" resistances. These two great Libyan resistances push Italian government to adopt new methods and policies in order to overcome those popular resistances. However, the new Italian policies led to basic social, economic and political changes in Libya. The Libyan society has remarkably changed. Some of Libyan traditions and customs were replaced by those of the colonists and the Libyan local industry has been influenced by the Italian one. In addition, the Libyan resistances were moved out and had changed from the military to political form depending on the political associations, conferences and meetings.

To sum up, even though the Italian colonization used different cruel and painful methods and means, it failed in front of the Libyan people who were strongly believing in their rights and issue.